التشبه والتقليد

بين المباح والمحظور

عبد السلام البسيوني

aalbasuni@hotmail.com

الإهداء

إلى الذين لم يقرؤوا غير أنفسهم وفهومهم وفسروا ولم يحسنوا فأساؤوا لدينهم

وإلى الذين استباحوا وتمادواوأفرطوا ولم يحسنوا فأساؤوا لدينهم

وإلى كل من يبحث عن حق، وطاعة، وقربة

غفر الله لي ولكم، ولأمة محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين

من الهدي الراشد:

قال الله تعالى: (أولئك الذين هدى الله، فبهداهم اقتده) الأنعام:90

وقال عز وجل: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة؛
لمن كان يرجو الله، واليوم الآخر، وذكر الله كثيرًا) الأحزاب:21

وقال سبحانه: (واقصد في مشيك، واغضض من صوتك؛ إن أنكر الأصوات لصوت الحمير) لقمان:19

وقال صلى الله عليه وسلم:
[.....فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين؛ عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة] أحمد وأبو داود وغيرهما وصححه الألباني

وقال السهروردي في قصيدته: أبدًا تحن إليكم الأرواح:
فتشبهوا؛ إن لم تكونوا مثلهم... إن التشبه بالرجال فلاحُ

وقال الشافعي عليه رحمات الله ورضوانه
أحب الصالحين ولست منهم... لعلي أن أنال بهم شفاعة
وأكره من بضاعته المعاصي... وإنكنا سواءً في البضاعة

مقدمة:

أسئلة نمطية تتكرر كل سنة، في مناسبات وأوقات معينة، تثير إشكاليات، يقبلها أناس ويحَمْون لها، وبها يحار قوم، وعليها يسخط آخرون، وربما أحدثت شروخًا واعتراضات، وربما أساءت للإسلام كله، حتى إن صديقًا لي رحمه الله تعالى أخرجني من الملة حقيقة لا مجازًا لأنني - في مقتبل حياتي -كنت ألبس البنطلون، وأطيل شعري، فصرت بذلك - في رأيه - بالكفار، ولأن من تشبه بقوم فهو منهم، أي صار كافرًا، وخرج من الملة؛ تمامًا كمن سجد لصنم، أو داس المصحف لا فرق! وقد تغير صديقي ذاك رحمه الله تعالى فيما بعد، وأحسن وصار عالمًا مميزًا!

وبعضٌ أكفر المصريين والأمة كلها بسببٍ افترضه هو بعقله البارع، وحكم لنفسه بأنه هو المسلم الوحيد، ومن يفكرون على شاكلته..

وهناك نوع من (روح التكفير) الموسمية، وفتاوى صادمة تعم مجتمعات كثيرة، عند قرب الكريسماس، أو في عيد ميلاد طفل، أو عيد زواج، أو ما شابه!

كما أن في مقابل ذلك (إسهالًا) عامًّا في التمرد، يبيح، بل يستبيح كل شيء، ولا يسلِّم بشيء اسمه حرام، ولا مكروه، ويعتدي على قيم الإسلام ومعالمه، بحجة الحرية، والانفتاح، ورفض التزمت، وقبول الآخر..

وظني أن هناك غلوًا في الأخذ ببعض الآراء، وتساهلًا شديدة في القبول، والأمر فيه دائمًا فيه أحكام، ومعالم، وضوابط، وتفاصيل، وليس متروكًا للانفلات والمروق، ولا للاستحسان العقلي، أو رأي المدرسة الواحدة، بل لا بد من تأمله من جوانب كثيرة، ومراعاة الزمان والمكان والحال والشخص، دون إطلاق فتوى واحدة شاملة عامة تجعل كلام شيخٍ ما كنص القرآن، أو متواتر الحديث، قداسةً ومرجعية؛ فما أظن هذا فقهًا؛ بل أزعم أن من أكبر آفاتنا إصدار فتاوى عامة تدخل الجنة والنار، وتحرم وتلعن، وتكفر وتفسق، دون نظر إلى قرائن واعتبارات وأحوال يجب الاحتكام إليها عند الفتوى!

كما أن للفقهاء القدامى آراءً هي أرحم كثيرًا من الفتاوى العنيفة المعاصرة.

وفي هذه الورقات أتناول موضوع التشبه الذي يثور كلما أهلت مناسبة من المناسبات غير الإسلامية، أو تعامَل أحدهم مع غريب أو جار أو زميل عمل غير مسلم، حيث يحلو لكثيرين أن يستنسخوا فتاوى، وينشروها على الجدران، وفي المساجد، والصفحات الدينية في الصحف، والبرامج التلفزيونية، وتغريدات التويتر، من متحمسين لم يستفصلوا الأمر، ويدرسوا المشكلة من جوانبها؛ فما بالنا مثلاً مع:

- الأعياد غير الإسلامية..
- التشبه في الاحتفالات الأسرية والاجتماعية والوطنية..
- التشبه الجنسي والاسترجال أو التأنث.. وحالة الخنوثة الولادية وتغيير الجنس!
- الأزياء وإشكالاتها..
- انتحال الأفكار والعقائد
- الموالاة النفسية والعقلية والحسية..

وغيرها من المسائل التي أرجو أن يلهمني الله فيها الصواب، أوتثير فِكَر غيري فيبحثها أكثر، ويدقق فيها أكثر، ويحررها أكثر مما فعلت، لنخرج للمسلمين - وغيرهم - بأحكام صائبة شرعية وعقلية وواقعية محكمة، تجيب عن مسائل عصرنا ونوازله..

وأسأله تعالى أن يلهمني الصواب، وحسن النية، وحسن ثواب الآخرة، وأن يغفر تطاولي وخطئي، وإساءاتي، ويخرجني وإياك قارئي الكريم مرضيًّا عنا، مغفورًا لنا، من غير حساب ولا سابقة عذاب.. اللهم آمين..

وصل اللهم وسلم وزد وبارك على سيدي رسول الله سيد الأولين والآخرين، وعلى آله وصحبه، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

عبد السلام البسيوني

الدوحة: ديسمبر 2012

بين التمايز والذوبان:

لعل من الأنسب أن أبدأ بين يدي كلامي ببعض المسلَّمات الحسية والعقلية، لتكون توطئة لما يأتي بعد إن شاء الله تعالى:

أولًا:

تتميز الأمم التي تحترم نفسها وتاريخها – ومنها أمة الإسلام - عن غيرها في عقيدتها، وطبيعتها، وشخصيتها، ورسالتها، وترى لزامًا عليها أن تحمي كينونتها، وخصائصها، ولا تذوب في أمم أو عقائد أو أيديولوجيات أخرى، بشكل يلغي تميزها؛ فقد قال ربنا تبارك الله تعالى ناهيًا نبيه صلى الله عليه وسلم عن اتباع الآخرين والذوبان فيهم: (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم، قل إن هدى الله هو الهدى، ولئن اتبعت أهواءهم - بعد الذي جاءك من العلم - ما لك من الله من ولي ولا نصير) البقرة: 120..

وقال تعالى: (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها، ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون* إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئًا، وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض، والله ولي المتقين) الجاثية:18-19..

وقال تعالى: (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض: يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، ويطيعون الله ورسوله؛ أولئك سيرحمهم الله، إن الله عزيز حكيم) التوبة:71.. ثم قال تعالى: (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض؛ إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض، وفساد كبير) الأنفال:73.

ثانيًا:

هناك أهل ديانات وحضارات كثيرة في العالم تجتهد في التمايز، والمحافظة على خصوصياتها – على عوارها - ولا يخفى على عين الناظر دون تأمل، تمايز أزياء المتدينين بأديان كثيرة، فالسيخي له زيه، والهندوسي، والبوذي، واليهودي المتدين له زيه، وترى أحدهم يحرص كثيرًا على التميز والمجاهرة بطقوسه، ومع هذا فلا يعاب عليه استمساكه وحرصه على التمايز، فلم يلام المسلم المتمايز!؟

ثالثًا:

لا أشك لحظة أن الذوبان في عوائد الآخرين وأساليب عيشهم كثيرًا ما يلغي الشخصية الدينية والثقافية، ويجعل الإنسان مسخًا؛ فلا يبقى محتفظًا بأصالته، ولا يظل مقبولًا بالكامل عند الآخرين!

رابعًا:

هناك سعي حثيث من الغول الأميركي لابتلاع كل الثقافات والعقائد، وتذويبها في حركة أمركة، يسمونها العولمة!

وتجتهد الحضارة الغربية في زرع بذور هذه الأمركة حيثما امتدت يدها، وليتها تكون عولمةً في المنافع والمزايا والحضارة المادية، وحقوق الإنسان، بل هي أمركة دينية ثقافية قيمية بحتة، لزرع الولاء المطلق لهؤلاء ولقيمهم ودينهم، مع المراوحة في المكان تخلفًا، ودكتاتورية حكم، وظلمًا اجتماعيًّا، والبقاء سوقًا استهلاكية، ومصدرًا للمواد الخام، بعد تسليم القلب والعقل للمادة، والولاء للاستعمار العالمي في ثوبه الجديد!

وتعمل على ذلك نخب ثقافية موالية، مشتولة في الغرب، ثم أعيد استزراعها في أوطانها لتتحدث بلسان ساداتها، وأولياء نعمتها، وتحمي مصالحهم، وعقائدهم، على حساب دينهم وهويتهم ومستقبلهم..

خامسًا:

ليس المسلمون وحدهم هم الذين يرفضون التذويب، ويصرون على المحافظة على هويتهم - خصوصًا الدين – بل إن أممًا كثيرة تعاني من الإكراه الثقافي، والأمركة القسرية، لكن أمة محمد صلى الله عليه وسلم تحظى بالنصيب الأوفى من ذلك طوعًا أوكرهًا!

سادسًا:

تبدأ التنازلات خفية وخفيفة ومتدرجة في كثير من الأحيان؛ ليظهر التغير والانتقال للنقيض، والذوبان بعد عقود.. وهذه أمور ملموسة جلية تظهر في تغير حالة المرأة العربية، من النقاب الثقيل، للحجاب الشرعي، للحجاب المزركش الجاذب، للتكشف، للتبرج، للمايوه، لقرى العراة.. والانتقال الثقافي من مستوى (وشها مكشوف) إلى مستوى: (اللي يبان منا.. زِكا عننا)!؟ قمة التناقض والاختلاف!

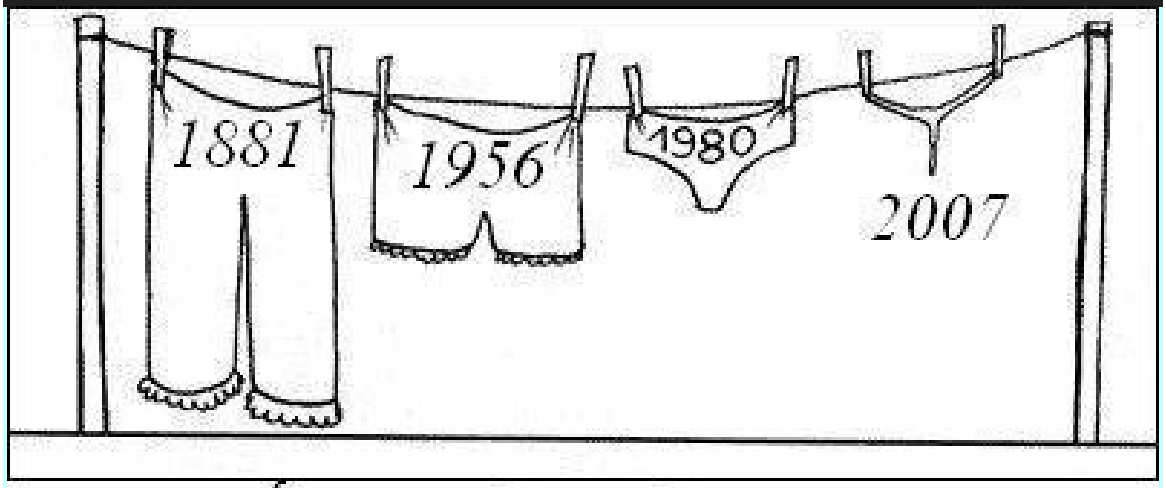

رسم بياني لتطوّر حرّية المرأة عندنا

التشبه في اللغة والاصطلاح:

جاء في اللسان، في جذر: ش ب هـ:

الشبه والشبه والشبيه: المثل، والجمع أشباه. وأشبه الشيء الشيء: ماثله. وفي المثل: من أشبه أباه فما ظلم. وأشبه الرجل أمه: وذلك إذا عجز وضعف!

وفي التنزيل: (مشتبهًا وغير متشابه) وشبهه إياه وشبهه به: مثّله، والمشتبهات من الأمور: المشكلات. والمتشابهات: المتماثلات.

وفي الحديث في صفة القرآن: آمنوا بمتشابهه، واعملُوا بمحكَمه. والمتشابه، ما لم يُتلقَّ معناه من لفظه، وهو على ضربين: أحدهما إذا رد إلى المحكم عرف معناه، والآخر ما لا سبيل إلى معرفة حقيقته. فالمتتبع له مبتغٍ للفتنة، لأنه لا يكاد ينتهي إلى شيء تسكن نفسه إليه.

وجمع الشبهة شبه، وهو اسم من الاشتباه. روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: اللبن يشبه عليه، ومعناه أن المرضعة إذا أرضعت غلامًا فإنه ينزع إلى أخلاقها فيشبهها، ولذلك يختار للرضاع امرأة حسنة الأخلاق، صحيحة الجسم، عاقلة غير حمقاء.

وفي الحديث عن زياد السهمي قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تسترضع الحمقاء؛ فإن اللبن يشبه!

التشبه اصطلاحًا:

التشبه الذي أريده في طرحي هذا، هو:

قصد محاكاة إنسان أوغيره في أخلاقه، ومعتقده، وسلوكه؛ استحسانًا له!

فهناك استحسان، وقصد ونية، ومحاكاة، أما ما ورد عن جهل، وغير قصد، واستحسان، فلا يدخل في بابنا هذا كما سيأتي إن شاء الله تبارك وتعالى.

في مقاله عن: التشبه المنهي عنه في الفقه الإسلامي، قال الشيخ جميل بن حبيب اللويحق المطيري:

....وعرف التشبه اصطلاحًا بتعاريف منها:

تعريف الإمام محمد الغزي الشافعي: التشبه عبارة عن محاولة الإنسان أن يكون شبه المتشبه به، وعلى هيئته، وحليته، ونعته، وصفته، وهو عبارة عن تكلف ذلك، وتقصُّده، وتعمُّله.

وقال المناوي في شرحه لحديث: "من تشبه بقوم فهو منهم" أي: تزيا في ظاهره بزيهم، وفي تعرفه بفلهم، وفي تخلقه بخلقهم، وسار بسيرتهم، وهديهم في ملبسهم، وبعض أفعالهم، أي: وكان التشبه بحق قد طابق فيه الظاهر الباطن.

..... وكلام المناوي هنا: منصب على بيان معنى التشبه الممنوع فقط؛ لأن كلامه ورد في سياق شرح حديث (من تشبه بقوم فهو منهم) وانحصر كلامه في التشبه الممنوع بالأجناس العاقلة دون غيرها، وذلك أخذًا من كلمة (قوم) فيما يبدو!

وفي الجزء الثاني عشر من الموسوعة الفقهية جاء:

من الألفاظ ذات الصلة: الموافقة، وهي: مشاركة أحد الشّخصين للآخر في صورة قول أو فعل أو ترك أو اعتقاد أو غير ذلك، سواء أكان ذلك من أجل ذلك الآخر أم لا لأجله؛ فالموافقة أعمّ من التّشبّه.

المشابهة والتشبه:

ويستخرج الأستاذ السيد رضا في مقال له عن (الفرق بين المشابهة والتشبه) رأياً جديدًا فيقول:..... فإن اللبس والإشكال وقع في فهم صيغة الفعل الواردة في الحديث: (من تشبّه.....)!

ومن فرّق بين شابه وبين تشبه فقد أمن اللبس والخطأ؛ فإن صيغة تشبه - وهي تَفَعَّل - تدل عند العرب على إرادة الشيء، وتكلفه لهذا الشيء، فمن أراد أن يتشبه بالكفار، وكان لبسه لهذا الشيء أو ذاك لطلب مشابهتهم، فهو الفعل المحرم الوارد في النص؛ أما من لبس شيئاً، ولا يريد أن يتشبه بهم أصلًا فلا يجوز عند العرب إطلاق معنى صيغة تفّعل عليه، ومن هنا وقع البعض بالخطأ.

فلكل كلمة معنى، ولكل وزن معنى، ولا يصح أن نفسر لفظة واردة بحديث على غير ما عرفه العرب، ومن قال مثلًا إن لبس البنطال مثلًا من التشبه بالكفار؛ دون النظر إلى نية

من يلبسه، وطلبه لهذا والتشبه، فليقل أيضًا في كل ما يلبسه من ملابس داخلية أو غيرها، مما يستعمله في حياته مما يلبسه، ومما لا يلبس كالإبرة إلى السيارة؛ فما عرف العرب هذه الملابس الداخلية، ولا صنعوها، وإنما جاءتهم من الكفار، وما قال أحد إن هذا تشبه؛ فالعبرة بلبس شيء أو استعماله هو إرادة المستعمل..

فالقاعدة: ليست كل مشابهة تشبهًا، وإنما كل تشبه مشابهة، فالمشابهة لا تحرم إلا إن كانت تشبهًا بإرادة وطلب هذا الشبه بينه وبين الكفار، فصيغة الفعل ووزنه هي من بعض الحكم الشرعي، ولا يحل لأحد أن يترك وزنه وصيغته التي يستعملها العرب عند إطلاق الحكم، وكذلك لا يحل لأحد أن يوسع الوزن والصيغة التي جاء عليها التحريم ويضيف إليها أوزان أخرى لم ترد مما لا يسعه هذا الوزن..... وأكثر الإشكال يقع لأن هذا والتشبه والقصد منه لا يعلم؛ لأنه من البواطن ومن فعل القلوب، والحكم على باطن أحد بشيء كذب عليه ولا يحل، فنحن لا نرى من المتشبه بغيره، ومن المشابه لغيره، إلا فعل المشابهة، ولا ندري بواطنهم، فلا يجوز الحكم عليهما أصلًا بشيء حتى يظهر لنا ما في قلبه من إرادة ذلك والتشبه وطلبه، وعدمه.

واعلموا أن أعظم والتشبه أجرًا، والتشبه لله تعالى ما كان تشبهًا برسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فهذا التأسي الفاضل، والفعل الجامع لكل فضيلة...

وفي كشف الخفاء ومزيل الإلباس:

شبيه الشيء منجذب إليه - وفي لفظ شبه. ليس بحديث، وقال السخاوي: هو بمعنى الأرواح جنود مجندة، وهو كقولهم: الجنس إلى الجنس أميل، وفي لفظ يميل، وكقولهم: الجنسية علة الضم..

قال النجم: هو من كلام الغزالي، وقال في الإحياء: قد تستحكم المودة بين اثنين من غير ملاحة في صورة، وحسن في خَلق وخُلق، ولكن لمناسبة باطنة، توجب الألفة والموافقة، فإن شبه الشيء منجذب إليه بالطبع، والأشباه الباطنية خفية، ولها أسباب دقيقة، ليس في قوة البشر الاطلاع عليها، وعنها عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم

حيث قال: (الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف). فالتناكر نتيجة التباين، والائتلاف نتيجة التناسب. قلت: وحديث: (الأرواح جنود مجندة) في البخاري عن عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها وأرضاها.

وفي هذا السياق ورد في الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، لملا علي القاري:

شَبيهُ الشيءِ مُنجذبٌ إِليه، هو كقولهم: الجنس إلى الجنس يميل، وقولهم الجنسية علة الضم وقولهم الصحبة مع غير الجنس عذاب شديد، كما فسر به قوله تعالى: (لأعذبنه عذابا شديدًا) أي لأجعلنه مع غيره في قفص؛ والكل مستفاد من حديث: (الأرواح جنود مجندة) وقد ذكر في سبب وروده أنه عليه الصلاة والسلام رأى امرأة عند عائشة، فقال: (من هي)؟ فقالت: مضحكة مكة، فقال عليه الصلاة والسلام: (أين نزلت)؟ فقالت: عند مضحكة المدينة..

وفي قوله تعالى (قل كل يعمل على شاكلته) إيماء إلى ذلك!

أورده ابن الجوزي في الموضوعات فأخطأ كما ذكره السيوطي فقد أخرجه أحمد والطبراني عن عطية بن بسر وابن عدي عن أبي هريرة رضي الله عنه وأبو يعلى عن جابر وقال السخاوي أخرجه أبو يعلى والطبراني من حديث أبي هريرة مرفوعا به.

قلت: وحديث أم المؤمنين عائشة الصديقة رضي الله عنها السابق في مسند أبي يعلى والطبراني وأحمد وغيرهم، وفيه كلام.

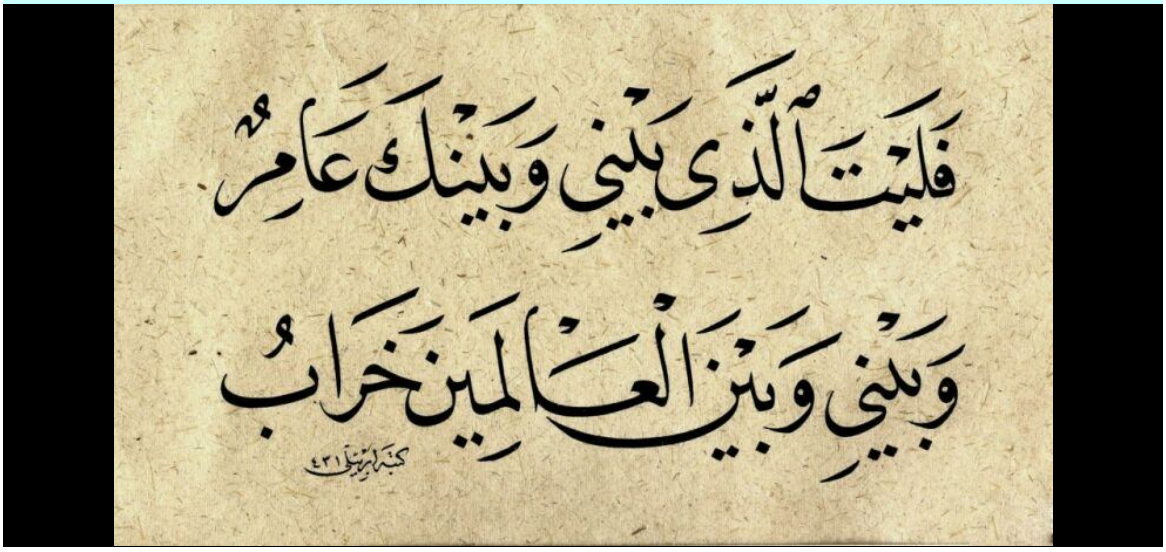

BIG

التشبه: المشكلة الشرعية القديمة الجديدة

لأدلف هنا إلى مقصود حديثي عن مشكلة التشبه في هذه الورقات، وجوانبها الإيجابية والسلبية، الشرعية والخارجة، سائلًا الله تعالى التسديد، وأن تكون خالصة لوجهه الكريم، وأن يجعلها لي لا علي دنيا وأخرى.. اللهم آمين..

أردت بالتشبه في هذا الكتاب:

قصد محاكاة إنسان، أوغيره،في أخلاقه، ومعتقده، وسلوكه؛ استحسانًا له!

لأشير إلى أن هناك أركانًا، هي القصد، والمشابهة،والاستحسان؛ فبدونها في زعمي لا يكون التشبه إشكالية كبيرة، كما يثار كل عام...

ولأشير أيضًا إلى أن التشبه يكون بالإنسان، وغير الإنسان، وبالشيء الحسن والقبيح.

التمايز الطبيعي:

ولا يخفى أن الله تبارك وتعالى مايز الأجناس، فجعل لكل خصائصه البيولوجية، وملامحه الخارجية التي تجعله مختلفًا عن سواه، لا يخفى ذلك، ولا يُنكر:

فالبشر مختلفون عن الجن: (خلق الإنسان من صلصال كالفخار* وخلق الجان من مارج من نار) الرحمن:14-15.

وفي البشر ذكور وإناث: (وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى) النجم:45، وبينهما فروق فطرية: (وليس الذكر كالأنثى) آل عمران عليهم السلام:36.

والبشر أمم شتى متمايزة في جوانب كثيرة: (ومن آياته خلق السموات والأرض، واختلاف ألسنتكم وألوانكم؛ إن في ذلك للآيات للعالمين) الروم:22.

ومن البشر المطيع والعاصي: (هوالذي خلقكم؛ فمنكم كافر ومنكم مؤمن، والله بما تعملون بصير) التغابن:2.

وللبشر أهواء ومنازع شتى، استقامة وانحرافًا، وهدى وضلالة، ورفقًا وعنفًا: (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا؛ فمنهم ظالم لنفسه، ومنهم مقتصد، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله...) فاطر:32.

وفي الحديث الشريف: (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به).

وهذا الحديث - وإن كان ضعيفًا،فمعناه صحيح قطعًا - كما قال الإمام ابن رجب رحمه الله تعالى، وأصله في القرآن كثير، كقوله تعالى:

(فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم...) النساء:65..

وقوله عز من قائل: (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرًا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) الأحزاب:36..

وقوله سبحانه: (فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم) القصص:50، وغير ذلك من الآيات، فلا يضر عدم صحة إسناده. ا.هـ.

لذا أمر صلى الله عليه وسلم أن يتبع سبيل ربه تعالى ولا يتبع السبل والمنازع والأهواء: (ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق) المائدة:48..

وقال سبحانه: (يأيها النبي اتق الله، ولا تطع الكافرين والمنافقين؛ إن الله كان عليمًا حكيمًا). الأحزاب:1.

بل هم متمايزون في الآخرة أيضًا:

فللمجرمين ما يميزهم: (يوم ينفخ في الصور، ونحشر المجرمين يومئذ زرقًا) طه: 102..

(وامتازوا اليوم أيها المجرمون) يس:59..

(يعرف المجرمون بسيماهم...) الرحمن:41.

والفراعين والجبابرة يمتازون خلف إمامهم فرعون: (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين* إلى فرعون وملئه فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد* يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود* وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود) هود:96-99.

والغدارون يتميزون: ففي الصحيحين مرفوعًا: (ينصب لكل غادر لواء عند استه يوم القيامة، فيقال: هذه غدرة فلان ابن فلان ابن فلان).

وللمؤمنين تميزهم: يقول تبارك وتعالى: **(يوم تبيض وجوه وتسود وجوه، فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم؟ فذوقوا العذاب؛ بما كنتم تكفرون* وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله، هم فيها خالدون)** آل عمران عليهم السلام: **106-107.**

ولأمة محمد صلى الله عليه وسلم – خاصة - ما يميزها: ففي الصحيح عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: **(إن أمتي يأتون يوم القيامة غُرًّا مُحجّلين، من آثار الوضوء؛ فمن استطاع منكم أن يُطيل غُرته فليفعل)..**

وفي مسند أبي داواد الطيالسي وغيره عن سيدي ابن مسعود رضي الله تعالى عنه، قال: قُلنَا: يَا رَسولَ اللَّه: كيف تعرف من لم تر من أمتك!؟ صلى الله عليه وسلم: **(غر محجلون بلق من آثار الوضوء)!**

والحمادون يتميزون: ففي سنن الترمذي وغيره، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ - آدم فمن سواه - إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر...)..**

ونصه في مسند أحمد: **(إنه لم يكن نبي إلا له دعوة قد تنجّزها في الدنيا، وإني قد اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي، وأنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وأنا أوّل من تنشق عنه الأرض ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، آدم فمن دونه تحت لوائي ولا فخر).**

بل في الموقف الواحد يتمايزون، كما في حالهم على الصراط؛ ففي مسلم عن سيدي أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: **(..... ثم يضرب الجسر على جهنم، وتحل الشفاعة، ويقولون: اللهم سلم.. سلم.**

قيل: **يا رسول الله! ما الجسر؟ قال:صلى الله عليه وعلى آله وصحبه: مدحضة مزلة، عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة لها شوكة بنجد، يقال لها السعدان، فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مُسلَّم، ومخدوش مرسل، ومكدوس في نار جهنم..)** إلخ..

وقفة نصوصية:

في مثل هذا المقام يجب تأمل ما ورد في كتاب الله تبارك وتعالى، وسنة الحبيب صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، عن المشابهة، والألفاظ التي تقاربها، وتصب في نهرها، مثل: المماثلة، والمشاكلة، والاقتداء، والائتساء، والاتباع، لنخرج بتصور شرعي دقيق، دون تزيُّد، ولا تحكُّم، ولا تمحل، فالنصوص حاكمة فارقة، ثم نضيف إلى ذلك ما قاله العلماء، والفقهاء، والموفقون، والشعراء وغيرهم في هذا الباب:

- ورد جذر (ش ب هـ) في القرآن الكريم اثنتي عشرة مرة..
- وورد جذر (م ث ل) تسعًا وثمانين ومائة مرة..
- وورد جذر (ش ك ل) مرتين اثنتين فقط..
- وورد جذر: ق د و(قدوة) مرتين..
- وورد جذر: أ س و(أسوة) ثلاث مرات..
- وورد جذر ت ب ع أربع مرات وسبعين ومائة مرة..

وسنأخذ من تنويعات هذه الجذور اللغوية ما يتفق مع موضوعنا، بالترتيب بإذنه تعالى:

جذر (أ س و): الذي يفيد الائتساء والاتباع والمشابهة:

ورد جذر أسوة في المصحف الشريف ثلاث مرات، كلها في التشبه بالقدوات الصحيحة، واتباعها، والائتساء بها معتقَدًا وسلوكًا وخلقًا ومعاملة، نزولًا من الخاص للعام:

فبدئ الترتيب بالقدوة العليا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، فقال تعالى: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة؛ لمن كان يرجو الله، واليوم الآخر، وذكر الله كثيرا) الأحزاب:21..

ثم رجع الأمر للوراء؛ لتؤمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم بالتشبه والاقتداء بإبراهيم عليه السلام والمؤمنين معه، في وضوح معتقدهم، ومبارأتهم قومهم، وإعلانهم التوحيد في جلاء؛ فضلًا عن أن الإسلام يكاد يكون عقيدة إبراهيمية في علاقته بالكعبة، ومناسك الحج، وفي التوحيد، وفي السلوك والمعتقد، فقال ربنا تبارك وتعالى، الممتحنة:4-5:

(قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم، والذين معه؛ إذ قالوا لقومهم: إنا برآء منكم، ومما تعبدون من دون الله: كفرنا بكم، وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدًا؛ حتى تؤمنوا بالله وحده؛ إلا قول إبراهيم لأبيه: لأستغفرن لك، وما أملك لك من الله من شيء، ربنا عليك توكلنا، وإليك أنبنا، وإليك المصير* ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا، واغفر لنا ربنا؛ إنك أنت العزيز الحكيم)!

ثم تعود السورة - الممتحنة:6 - لتأكيد معنى الاقتداء بأبي الأنبياء، عليه السلام والذين معه، أو بالأنبياء أجمعين، فيقول تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ؛ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ)..

كما قال تعالى بعد ذكر الأنبياء في سورة الأنعام:89-90: (أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة؛ فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قومًا ليسوا بها بكافرين* أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده)..

جذر(ش ب ه): الذي يفيد التشبه أو المشابهة أو الشبه الطبيعي، وهو محل بحثنا:

ورد هذا الجذر في المصحف الشريف اثنتي عشرة مرة، ويهمنا منها من الفقه:

- مشابهة أهل الباطل بعضهم بعضًا، عبر التاريخ ،في الأقوال والميول والمعتقدات، كما قال تبارك وتعالى في سورة البقرة:118: (وقال الذين لا يعلمون: لولا يكلمنا الله، أو تأتينا آية؟ كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم؛ تشابهت قلوبهم، قد بينا الآيات لقوم يوقنون).
- ما ورد في سورة آل عمران عليهم السلام:7، من أن المحرفين والمغالطين لا يتبعون الطريق الواضح الجلي، ولا يريدونه؛ لحاجات في نفوسهم، في قوله تعالى: (هو الذي أنزل عليك الكتاب، منه آيات محكمات، هن أم الكتاب، وأخر متشابهات، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه؛ ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله) آل عمران:7.
- ما ورد في سورة النساء، من اشتباه النصارى في ربهم عيسى (عليه السلام) في حياته، كما يشتبهون فيه بعد موته عليه الصلاة والسلام، فقال تعالى النساء:157: (وقولهم: إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله، وما قتلوه، وما صلبوه؛ ولكن شبه لهم،

وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه؛ ما لهم به من علم - إلا اتباع الظن - وما قتلوه يقيناً).

ومن فقه التشابه والتشبه أن الله تعالى وتبارك لم يخلق الكائنات شيئاً واحداً؛ بل خلقها متشابهة، ومختلفة: (والزيتون والرمان مشتبهًا، وغير متشابه) الأنعام:99: (والزيتون والرمان متشابهًا، وغير متشابه) الأنعام:141.

وقوله تعالى: (وفي الأرض قطع متجاورات، وجنات من أعناب، وزرع، ونخيل، صنوانٌ، وغير صنوان، يُسقى بماء واحد، ونفضل بعضَها على بعض في الأُكل، إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) الرعد:4.

وقوله تعالى: (ومن آياته خلق السموات والأرض، واختلافُ ألسنتكم وألوانكم؛ إن في ذلك لآيات للعالمين) الروم:22.

ومن فقه التشابه والتشبه في القرآن الكريم:

أن الله تعالى وجل وعز لم يخلق نعيم الجنة شيئاً واحداً؛ بل جعله متشابهًا، ومختلفًا: (قالوا هذا الذي رزقنا من قبل، وأتوا به متشابهًا) البقرة:25

ومنه أن الله تعالى جعل القرآن كله متشابهًا؛ من حيث المصدرية، والإعجاز، والإحكام، والتأثير، والخلود، والحفظ: (الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهًا، مثاني، تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم) الزمر:23، كما جعل فيه متشابهات لا يعلم تأويلها إلا الله الكريم المتعال: (هو الذي أنزل عليك الكتاب، منه آيات محكمات، هن أم الكتاب، وأخر متشابهات) آل عمران:7.

ومن أساليب المشبهين المخلطين التي أوردها القرآن الكريم:

قتل الحق، والاجتهاد في إقصائه، والتخلص منه: (وما قتلوه، وما صلبوه، ولكن شبه لهم) النساء: 157!

ومن أساليبهم التمحل، والتلاوم، وتأخير التطبيق: (قالوا: ادع لنا ربك يبين لنا ما هي؛ إن البقر تشابه علينا) البقرة:70

ومن أساليبهم اتباع المتشابه المختلط، لضرب الحق به: (فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه؛ ابتغاء الفتنة، وابتغاء تأويله) آل عمران:7

ومن أساليبهم التلبيس، والتظاهر بالحرص على الحق: (أم جعلوا لله شركاء، خلقوا كخلقه، فتشابه الخلق عليهم!؟) الرعد:16

وأنهم في الباطل على قلب رجل واحدٍ: (تشابهت قلوبهم؛ قد بينا الآيات لقوم يوقنون) البقرة:118

جذر (ش ك ل): الذي يفيد الشكل والمشاكلة والمشابهة:

وورد جذر (ش ك ل) عن المشاكلة مرتين: مرة في قوله تعالى في سورة ص:58: (وآخر من شكله أزواج) قال الحسن البصري رحمه الله تعالى: (وآخر من شكله أزواج) ألوان من العذاب .وقال غيره :كالزمهرير، والسَّموم، وشرب الحميم، وأكل الزقوم، والصَّعود، والهوي، إلى غير ذلك من الأشياء المختلفة والمتضادة، والجميع مما يعذبون به ويهانون بسببه! (ابن كثير).

والثانية في قوله تعالى، في سورة الإسراء:84: (قل كل يعمل على شاكلته)..

قال في تفسير القرطبي: قوله تعالى (قل كل يعمل على شاكلته) قال ابن عباس رضي الله عنهما: ناحيته. وقال الضحاك. مجاهد: طبيعته. وعنه: حدته. ابن زيد: على دينه. الحسن وقتادة: نيته. مقاتل: جبلته. الفراء: على طريقته ومذهبه الذي جبل عليه. وقيل. قل كل يعمل على ما هوأشكل عنده وأولى بالصواب في اعتقاده.

وقيل: هو مأخوذ من الشكل؛ يقال: لست على شكلي ولا شاكلتي. قال الشاعر:

كل امرئ يشبهه فعله ** ما يفعل المرء فهو أهله

فالشكل هو المثل والنظير والضرب. كقوله تعالى: (وآخر من شكله أزواج) والشِّكل (بكسر الشين): الهيئة. يقال: جارية حسنة الشكل. وهذه الأقوال كلها متقاربة. والمعنى: أن كل أحد يعمل على ما يشاكل أصله وأخلاقه التي ألفها، وهذا ذم للكافر، ومدح للمؤمن.

وقال الشيخ الشعراوي رحمه الله: كل إنسان يعمل على طريقته، وعلى طبيعته، وعلى مقدار ما تكونت به من خلايا الإيمان، أو من خلايا إيمان اختلطت بخلايا عصيان، أو بما عنده من خلايا كفر، فالناس مختلفون وليسوا على طبع واحد، فلا تحاول – إذن - أن تجعل الناس على طبع واحد.

وما دام الأمر كذلك، فليعمل كل واحد على شاكلته، وحسب طبيعته، فإنْ أساء إليك إنسان سيئ الطبع فلا تقابله بسوء مثله، ولتعمل أنت على شاكلتك، ولتقابله بطبع طيّب؛ لذلك يقولون: لا تُكافئ مَنْ عصى الله فيك بأكثر من أنْ تطيع الله فيه. وبذلك يستقيم الميزان في المجتمع، ولا تتفاقم فيه أسباب الخلاف.

جذر: (ق د و): الذي يفيد الاقتداء والمماثلة والمشابهة:

ورد هذا الجذر، متعلقًا بالمشابهة والاقتداء، مرتين:

مرة عن الاقتداء الإيجابي بالأنبياء عليهم السلام، فبعد أن تكلمت سورة الأنعام عن سيدنا إبراهيم عليه السلام، ثم ذكرت الأنبياء الخمسة والعشرين الواردين بالمصحف الشريف – عليهم السلام – ابتداء من الآية 83، قال الله تعالى: (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه، نرفع درجات من نشاء؛ إن ربك حكيم عليم * ووهبنا له إسحق ويعقوب - كلًا هدينا - ونوحًا هدينا من قبل، ومن ذريته داود، وسليمان، وأيوب، ويوسف، وموسى، وهارون؛ وكذلك نجزي المحسنين* وزكريا، ويحيى، وعيسى، وإلياس؛ كل من الصالحين* وإسماعيل، واليسع، ويونس، ولوطًا، وكلًا فضلنا على العالمين* ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم، واجتبيناهم، وهديناهم إلى صراط مستقيم* ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده، ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون* أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة؛ فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قومًا ليسوا بها بكافرين * أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده...) الأنعام:90

والمرة الثانية عن الاقتداء والتشبه السلبيين، وهو فعل الذين يتبعون سير أجدادهم وآبائهم الأولين، عنادًا، وكفرًا، ومروقًا، وعدوانًا، كما قال تعالى في سورة الزخرف 19-24: (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا! أشهدوا خلقهم؟ ستكتب شهادتهم

ويسألون* وقالوا: لو شاء الرحمن ما عبدناهم؛ ما لهم بذلك من علم، إن هم إلا يخرصون* وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها: إنا وجدنا آباءنا على أمة، وإنا على آثارهم مقتدون* قال: أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم؟ قالوا: إنا بما أرسلتم به كافرون* فانتقمنا منهم، فانظر كيف كان عاقبة المكذبين)..

ومثله ما ورد في الجاثية:25، في قوله تعالى: (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم إلا أن قالوا: ائتوا بآبائنا؛ إن كنتم صادقين)!

جذر (م ث ل): الذي يفيد الاجتهاد في المماثلة، والتقليد، والمشابهة، والمتابعة:

ورد جذر (م ث ل) 189 مرة، ويهمنا هنا منه ورود فكرة المماثلة حول:

التشبه الإيجابي؛ كالتعلم المفيد من أي كائن، حتى من الحيوان..

كما ورد في قوله تعالى، على لسان ابن آدم القاتل حين قال: (قَالَ يَا وَيلتا؛ أَعجزتُ أَنْ أَكونَ مِثلَ هَذا الْغرابِ، فأوارِيَ سوأةَ أخي) المائدة:31..

وكما ورد في حكاية سيدنا سليمان عليه السلام مع الهدهد الذي افتقده، ثم جاءه بعدُ فعابَ على أهل سبأ ألا يشبهوه في توحيده ربه تبارك وتعالى: (فمكث غير بعيد، فقال: أحطت بما لم تحط به، وجئتك من سبأ بنبأ يقين* إني وجدت امرأة تملكهم، وأوتيت من كل شيء، ولها عرش عظيم* وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله، وزين لهم الشيطان أعمالهم، فَصدهمْ عَنِ السَّبِيلِ؛ فَهُمْ لا يَهتدونَ* أَلاَّ يَسجدوا لِلهِ الَّذي يُخرجُ الْخبءَ فِي السمواتِ والأرضِ، ويعلَمُ ما تُخفونَ وما تعلنون* الله لا إله إلا هو، رب العرش العظيم)؟ النمل:22-26.

ومن التشبه السلبي الذميم؛ مثل مشابهة الأسلاف في جهالاتهم، وإنكارهم الإيمان مثلهم، هو قمة الجهالة: (بل قالوا مثل ما قال الأولون* قالوا: أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون؟* لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل، إن هذا إلا أساطير الأولين) المؤمنون 81-83.

ومن التشبه السلبي الذميم: مشابهة المستهزئين في مجالسهم، كما قال تبارك وتعالى في سورة النساء:140: (وقد نزل عليكم في الكتاب أن: إذا سمعتم آيات الله يكفر بها،

ويستهزأ بها، فلا تقعدوا معهم؛ حتى يخوضوا في حديث غيره، إنكم إذا مثلهم، إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعًا).

ومما ورد من فقه التشبه: مشابهة المبطلين اللاحقين أهل الباطل السابقين، كما قال عز من قائل، البقرة:118: (وقال الذين لا يعلمون: لولا يكلمنا الله، أو تأتينا آية! كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم؛ تشابهت قلوبهم، قد بينا الآيات لقوم يوقنون)!

جذر (ت ب ع) الذي يفيد المتابعة والمشابهة والاقتداء:

ورد جذر (ت ب ع) الذي يفيد الاتباع والمتابعة والمجاراة أربعًا وسبعين ومائة مرة (174)، وفيه تنويعات كثيرة، يهمنا منها ما يلي:

= = كثير من المقلدة يشابهون قطاعات معينة، ويجتهدون في تقليدهم ومحاكاتهم، بل يغلون في الإيمان بهم أحيانًا:

- فهم يتشبهون حينًا بالشيطان عليه لعائن الله، البقرة، 168 -169: (...ولا تتبعوا خطوات الشيطان؛ إنه لكم عدو مبين * إنما يأمركم بالسوء والفحشاء، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون)/ (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم، ويتبع كل شيطان مريد) الحج:3/ (يأيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان، ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر) النور:21/ (ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه؛ إلا فريقا من المؤمنين) سبأ:20

ولا يتبع الشيطان إلا غاوٍ منحرف عن طريق الهدى: (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان؛ إلا من اتبعك من الغاوين) الحجر:42.

وقد أوعد الله إبليس عليه لعائن الله بتعذيبه هو ومن تبعوه، أو تشبهوا به: (لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين) الأعراف:18/ (فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورًا) الإسراء:63/ (لأملأن جهنم منك، وممن تبعك منهم أجمعين) ص:85.

- وأحيانًا يتشبهون ويقتدون بآبائهم، كما قال تعالى: (وإذا قيل لهم: اتبعوا ما أنزل الله قالوا: بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا) البقرة:170! وكما قال عز من قائل في لقمان – 20-21 - يقول تبارك وتعالى: (..ومن الناس من يجادل في الله بغير علم، ولا

هدىً، ولا كتاب منير* وإذا قيل لهم: اتبعوا ما أنزل الله، قالوا: بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا) لقمان:21.

- وأحياناً لا يتبعون إلا ظنونهم وأوهامهم، كما قال جل وعز وعلا، النساء:157: (ما لهم به من علم إلا اتباع الظن، وما قتلوه يقيناً) وكما قال تبارك وتعالى في الأنعام: 116 ويونس:66: (إن يتبعون إلا الظن، وإن هم إلا يخرصون) وغيرها!
- وأحياناً يتبعون الأهواء، ويتخذونها آلهة من دون الله تعالى، كما قال تعالى: (فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم) القصص:50/ (إن يتبعون إلا الظن، وما تهوى الأنفس) النجم:23/ (إن يتبعون إلا الظن، وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً) النجم:28.
- وأحياناً يتبعون المتشابه وأهل الشبهات، كما قال تبارك وتعالى، آل عمران:7: (فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه؛ ابتغاء الفتنة، وابتغاء تأويله).
- وأحياناً يتبعون الشهوات وأهل الشهوات، كما قال تبارك وتعالى، النساء:27: (ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً).
- وأحياناً يتبعون الإبهار والتخييل والكذب بأشكاله: (لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين) الشعراء:40.
- وأحياناً يتبعون الفراعين والجبابرة، المحادين لله ورسوله: (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين* إلى فرعون وملئه، فاتبعوا أمر فرعون، وما أمر فرعون برشيدٍ) هود:96-97/ (وعصوا رسله، واتبعوا أمر كل جبار عنيد) هود:59.
- وأحيانا يتبعون الباطل والمبطلين: (ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل، وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم) محمد صلى الله عليه وسلم: 3

= = وهم سيفاصلون المؤمنين بهم، ويبتعدون عن اتباعهم، ومشابهتهم، كما قال تبارك وتعالى، البقرة:145: (وما أنت بتابع قبلتهم، وما بعضهم بتابع قبلة بعض)!

= = وقد نهى الله تبارك وتعالى عن مشابهة واتباع وتقليد غير الحق والصراط المستقيم: (واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان) البقرة:102..

(ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق) المائدة:48..

(ولا تتبع أهواءهم، واحذرهم أن يفتنوك) المائدة:49..

(ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل، وأضلوا كثيًرا) المائدة:77..

(اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء) الأعراف:3..

(فاستقيما، ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون) يونس:89..

(يأيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان) النور:21..

(فاتبعها، ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) الجاثية:18..

(إنهم عصوني، واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارًا) نوح:21

= = وهم قد أمروا أن يتبعوا ويقلدوا ويتشبهوا بالقدوات الصالحة لا بسواها:

كما قال تعالى، آل عمران:95، (قل: صدق الله؛ فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفًا)..

وكما قال تعالى، الأعراف:3: (اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم، ولا تتبعوا من دونه أولياء)..

وكما قال تعالى، العنكبوت:12: (وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا، ولنحمل خطاياكم)...

وكما قال تعالى، يس:20-21: وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى، قال: ياقوم اتبعوا المرسلين* اتبعوا من لا يسألكم أجًرا، وهم مهتدون)..

وكما قال تبارك وتعالى، الزمر:53-55: (قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم: لا تقنطوا من رحمة الله؛ إن الله يغفر الذنوب جميًعا؛ إنه هو الغفور الرحيم* وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له، من قبل أن يأتيكم العذاب، ثم لا تنصرون* واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم)!

ومثل هذا قوله تعالى: (قل: إن كنتم تحبون الله فاتبعوني؛ يحببكم الله) آل عمران:31..

(يا أبت: إني قد جاءني من العلم ما لم؛ يأتك فاتبعني) مريم:43..

(وإن ربكم الرحمن؛ فاتبعوني، وأطيعوا أمري) طه:90..

(الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) الزمر: 18..

(وقال الذي آمن: يا قوم اتبعون؛ أهدكم سبيل الرشاد) غافر:38..

(وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها، واتبعون) الزخرف:61..

= = وأوضح المناهج التي تتبع ويتشبه بأصحابها هي شرعة الله تعالى ومناهج الأنبياء،

كما قال تبارك وتعالى: (اتبع ما أوحي إليك من ربك) الأنعام:106..

(الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل) الأعراف:157..

(واتبع ما يوحى إليك، واصبر حتى يحكم الله، وهو خير الحاكمين) يونس:109..

(ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا) النحل:123..

(وصاحبهما في الدنيا معروفًا، واتبع سبيل من أناب إلي) لقمان:15..

(واتبع ما يوحى إليك من ربك؛ إن الله كان بما تعملون خبيرًا) الأحزاب:2..

(ثم جعلناك على شريعة من الأمر؛ فاتبعها، ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) الجاثية:18..

(فإذا قرأناه فاتبع قرآنه) القيامة:18.

= =المتبوعون المقلَّدون المشابهون في سلوكهم لن يغنوا عن اتباهم شيئًا..

كما قال تبارك وتعالى، إبراهيم:21: (وبرزوا لله جميعًا، فقال الضعفاء للذين استكبروا: إنا كنا لكم تبعًا، فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء؟ قالوا: لو هدانا الله لهديناكم، سواء علينا: أجزعنا أم صبرنا؛ ما لنا من محيص)..

وكما في قوله تعالى، غافر:47-48: (وإذ يتحاجون في النار، فيقول الضعفاء للذين استكبروا: إنا كنا لكم تبعًا، فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار* قال الذين استكبروا: إنا كل فيها، إن الله قد حكم بين العباد)!

= = بل سيتبرأ بعضهم من بعض، أمام ربهم سبحانه وتعالى..

كما قال تبارك وتعالى: البقرة:166-167: (إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا، ورأوا العذاب، وتقطعت بهم الأسباب* وقال الذين اتبعوا: لو أن لنا كرة؛ فنتبرأ منهم كما تبرؤوا منا؟ كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم، وما هم بخارجين من النار)!

= = وسيطلبون من الله تعالى إعطاءهم مهلة – يوم القيامة – ليصلحوا من أنفسهم ويتبعوا المرسلين: (ربنا أخرنا إلى أجل قريب؛ نجب دعوتك، ونتبع الرسل) إبراهيم:44..

(ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك) طه:134..

(ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين) القصص:47

= = وهم في طلبهم هذا كذبة، يخادعون الله تعالى، وهو خادعهم، كما قال تعالى:

(ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا: يا ليتنا نرد، ولا نكذب بآيات ربنا، ونكونَ من المؤمنين * بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل، ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه، وإنهم لكاذبون) الأنعام:27-28.

= = وهم عنيدون مجادلون لا يريدون التمسك بالهدى والحق، ولا يتشبهون بأهله، ولا يحبونهم: (وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم) الأعراف:193..

(ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك) البقرة:145..

(ومن الناس من يجادل في الله بغير علم، ويتبع كل شيطان مريد) الحج:3..

(يأيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان، ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر) النور:21..

(وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا) القصص:57.

(فقالوا أبشرًا منا واحدًانتبعه إنا إذً ا لفي ضلال وسعر) القمر:24!

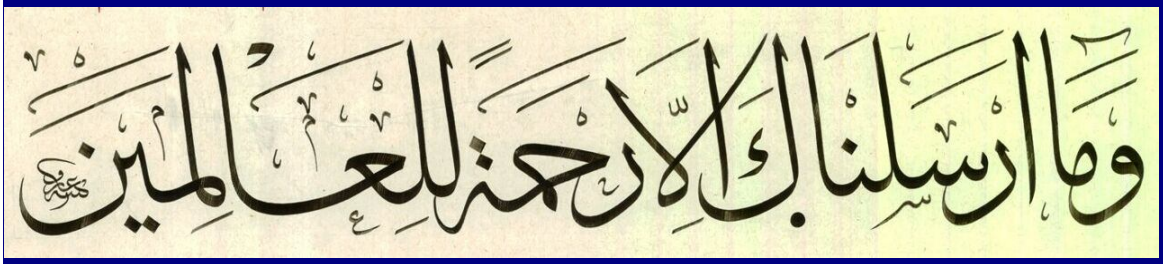

من وجوه التمايز الدنيوي:

الخلائق متشابهون.. متمايزون في الخلقة:

خلق الله تبارك وتعالى الناس أجناسًا متمايزة بألسنتها وألوانها وملامحها وأخلاقها، كما قال تبارك وتعالى: (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود* ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور) فاطر:27-28.

وقال سيدي المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم كما روى أبو داود والترمذي وأحمد وغيرهم بسند صحيح: (خلق الله آدم من أديم الأرض كلها، فخرجت ذريته على حسب ذلك؛ منهم الأبيض والأسود والأسمر والأحمر، ومنهم بين ذلك، ومنهم السهل والحزْن، والخبيث والطيب).

ومتمايزون في منازلهم الدنيوية:

كما قال تبارك وتعالى: (أهم يقسمون رحمت ربك؟ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات؛ ليتخذ بعضُهم بعضًا سُخريًّا، ورحمة ربك خير مما يجمعون* ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن - لبيوتهم - سُقفًا من فضة ومعارج عليها يظهرون* ولبيوتهم أبواباً وسررًعليها يتكئون* وزخرفًا؛ وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا، والآخرة عند ربك للمتقين) الزخرف:32-35..

وقوله تعالى: (وهو الذي جعلكم خلائف الأرض، ورفع بعضكم فوق بعض درجات؛ ليبلوكم في ما آتاكم، إن ربك سريع العقاب، وإنه لغفور رحيم) الأنعام:165.

فلا عجب أن ترى في الناس الأمير والفقير، والقوي والضعيف، والمجدود والتعيس.

وفي الحديث الذي رواه الألباني في الصحيحة: (إن الله قسم بينكم أخلاقكم، كما قسم بينكم أرزاقكم، وإن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان إلا من أحب، فمن ضن بالمال أن ينفقه، وخاف العدو أن يجاهده، وهاب الليل أن يكابده، فليكثر من قول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر..)

ومتمايزون في جنسهم:

كما قال تبارك وتعالى: (لله ملك السموات والأرض، يخلق ما يشاء، يهب لمن يشاء إناثًا، ويهب لمن يشاء الذكور* أو يزوجهم ذكراناً وإناثًا، ويجعل من يشاء عقيمًا؛ إنه عليم قدير) الشورى49-50.

ومتمايزون ذكورة وأنوثة:

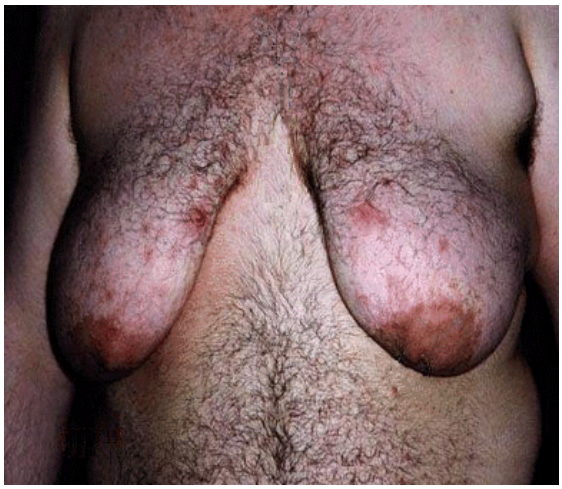

كما قال تبارك وتعالى: (وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى) النجم:45.

وليست الخنوثة طرفًا ثالثًا في القسمة؛ لأنها ليست شيئًا طبيعيًّا؛ بل خللًا جينيًّا، قدره الله تعالى، يجعل الإنسان الخنثى Hermaphrodite خليطًا من الذكر والأنثى، دون دخل منه، لذا فقد جعل له الفقه الإسلامي أحكامه، فإن كان أقرب للذكورة عومل على أنه ذكر، وأعطي أحكامه، وإن كان للأنوثة أقرب عد امرأة، وأعطي أحكامها، دون ملامة، ودون تثريب، ولا تحقير، وحفظت له حقوقه كاملة.

وأما الخنثى فغير المنحرف جنسيًّا، الذي يعمل عمل قوم لوط: Gay/ Sodomist والذي يتلطفون في تسميته (المثلي) فهو منحرف اختيارًا، ضال عن الفطرة السوية، لذا فقد رتبت الشريعة له أحكامًا أخرى مختلفة عن حكم الأنثى، ليس هذا مكان سردها.

وهم متمايزون في ثيابهم:

فالثياب لا شك بطاقة هوية، وإشارة كاشفة لنوع صاحبها، وجنسه، وجنسيته، ومعتقده، وأخلاقه، ومستواه الاجتماعي، وغير ذلك من الدلالات.

وخلط النسب فيها يحدث نوعًا من الفوضى الاجتماعية والقيمية، فلو لبس الصالح ثياب الزنديق، لعد ذلك سقوطًا وذنبًا، ولو لبس المسلم ثوب القسيس لعد ذلك جنونًا، ولو لبس الحلاق ثوب الطبيب لعد ذلك تزويرًا وجريمة، ولو لبس الرجل ثوب المرأة – أو العكس –لعد ذلك انحرافًا وشذوذًا!

كما تتفاوت أزياء الشعوب في دلالاتها وأنواعها وأشكالها، وهذا كله مشاهد ملحوظ.

وتصر الشريعة على التمايز في الزي، ذي الدلالة والفصل، فلا يلبس الرجل لبسة المرأة، ولا المسلم لبسة الكافر، ولا المستقيم لبسة المستهين، ولا غير المختص لبسة المختص..

فقال صلى الله عليه وسلم في حديث أحمد وغيره: (من تشبه بقوم فهو منهم).

وكما ورد في مسلم وغيره: عن أبي عثمان قال: كتب إلينا عمر ونحن بأذربيجان: يا عتبة بن فرقد:.....فأشبع المسلمين في رحالهم مما تشبع منه في رحلك، وإياكم والتنعم، وزي أهل الشرك، ولبوس الحرير؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لبوس الحرير.....

وفي حديث حذيفة رضي الله تعالى عنه في الصحيح: (نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نشرب في آنية الذهب والفضة، وأن نأكل فيها، وعن لبس الحرير والديباج، وأن نجلس عليه).

والمشابهة تكون – في أساسها - في الظاهر، لتعكس المشابهة في الباطن، لذا فقد عنيت الشريعة بالظاهر، واهتمت بالزي، وبالمشية، وبالجِلسة، وبالصوت، وبالضحكة، لما لذلك كله من دلالات وأبعاد لا تخفى..

ولذلك أيضًا يجتهد الظلمة في مواجهة الظاهر، وإعلان الحرب عليه بشكل سافر لا هوادة فيه:

فقد حارب أتاتورك الطربوش العثماني بضراوة لصالح القبعة الأوربية، فلبسها وألبسها الناس، وتبعه في مصر عبد الناصر الذي خلع الطرابيش عن رؤوس الأفندية؛ لما له من دلالات تاريخية ودينية.

ويحارب الغرب، كما تحارب الأنظمة التابعة له في بلاد المسلمين، الحجاب واللحية، بشكل ضارٍ ومتطرف، لدلالته على هوية لا يريدونها، ولا يقبلونها، ويصمونها بكل أشكال التحقير والإساءة والتشويه.

كما يحارب الغرب إقامة المنائر على المساجد بشكل سافر، وفج - بل وعدواني في كثير من الأحيان - ويستفزون المسلمين بين الحين والحين؛ بتدنيس المصحف، أو رسم شعارات، وإهانة رموز..

وما ذلك كله إلا لأهمية الظاهر، وما يدل عليه، ومن هنا ندرك حكمة الشريعة في لفت النظر لأهمية الظاهر، وإصرارها على عدم التشبه:

قال ملا علي القاري في مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ كتاب اللباس: (من تشبه بقوم): أي من شبه نفسه بالكفار مثلًا في اللباس وغيره، أو بالفساق، أو الفجار، أو بأهل التصوف والصلحاء الأبرار (فهو منهم): أي في الإثم والخير.

قال الطيبي: هذا عام في الخلق والخلق والشعار، ولما كان الشعار أظهر في التشبه ذكر في هذا الباب.

قلت: بل الشعار هو المراد بالتشبه لا غير، فإن الخلق الصُّوري لا يتصور فيه التشبه، والخلق المعنوي لا يقال فيه التشبه، بل هو التخلق.

هذا ويحكي الدراويش حكاية غريبة (ولا أعدها هنا دليلًا شرعيًّا) وهي أنه لما أغرق الله سبحانه فرعون وآله لم يغرق مسخرته (المهرج) الذي كان يحاكي سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام في لبسه وكلامه ومقالاته، فيضحك فرعون وقومه من حركاته وسكناته؛ فتضرع موسى إلى ربه: يا رب! هذا كان يؤذي أكثر من بقية آل فرعون، فقال الرب تعالى: ما أغرقناه؛ فإنه كان لابسًا مثل لباسك، والحبيب لا يعذب من كان على صورة الحبيب!

فانظر من كان متشبهًا بأهل الحق على قصد الباطل حصل له نجاة صورية، وربما أدت إلى النجاة المعنوية، فكيف بمن يتشبه بأنبيائه وأوليائه على قصد التشرف والتعظيم، وغرض المشابهة الصورية على وجه التكريم؟

ملحوظتان مهمتان:

أولًا: القصد سبب رئيسي في الإثم:

فمن تشبه بجهل، أو بغير قصد، ولا يعلم أن سلوكه مرفوض شرعًا، أو تشبه بما لا يرضاه الله تعالى، أو ظن أنه أمر لا إثم فيه، فهو غير مؤاخذ – والله تعالى أعلى وأعلم؛ فقد قال تبارك وتعالى: (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به، ولكن ما تعمدت قلوبكم، وكان الله غفورًا رحيمًا) الأحزاب:5، وقال صلى الله عليه وسلم: (إنما الأعمال بالنيات؛ وإنما لكل امرئ ما نوى...) متفق عليه.

وهناك مواقف عدة عذر فيها النبي صلى الله عليه وسلم أصحابها بالنية، كما في حديث سيدي أبي واقد الليثي أن رسول صلى الله عليه وسلم - حين أتى حنيناً - مر بشجرة يعلق المشركون عليها أمتعتهم وأسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط، فقالوا: يا رسول الله: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط!

فقال صلى الله عليه وسلم: (الله أكبر؛ هذا كما قال قوم موسى لموسى: اجعل لنا إلًها كما لهم آلهة؛ لتركبن سنن الذين من قبلكم).

وفتوى العلماء أن مثل هذا يعلَّم، ويوضح له الحق، ثم يعذر بعد أو لا يعذر..

قال الشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمه الله تعالى فيمن أتى شيئًا عظيمًا – أعظم من أمر التشبه – وهو لا يعلم أنه عظيم مكفر، مثل المستهزئ بالدين، أو ساب الدين، أو الرسول صلى الله عليه وسلَّم، أو القرآن العظيم؛ هل يكفر ولو كان جاهلًا!؟:

هذا الباب كغيره من أبواب الكفر يعلم ويؤدب، فإن علم وعاند بعد التعليم والبيان كفر.

وإذا قيل: لا يعذر بالجهل، فمعناه يعلم ويؤدب وليس معناه يكفر ا.هـ فتاوى ورسائل سماحة الشيخ عبد الرزاق عفيفي (1/ 173).

الثاني: أننا سنقلد الأمم، ونتورط في التشبه:

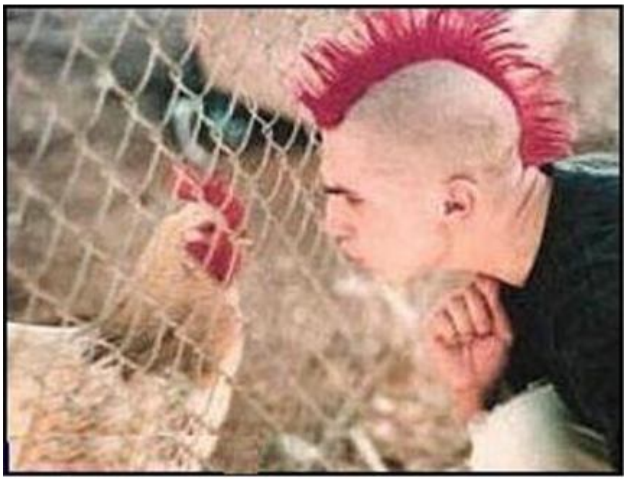

فقد حذرنا النبي صلى الله عليه وسلم – وهو الصادق المصدوق – من ذلك، ورأيناه بأعيننا، فقد قال الله تبارك وتعالى: **(كالذين من قبلكم: كانوا أشد منكم قوة، وأكثر أموالًا وأولادًا، فاستمتعوا بخلاقهم، فاستمتعتم بخلاقكم، كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم، وخضتم كالذي خاضوا؛ أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة، وأولئك هم الخاسرون) التوبة:69.**

وفي حديث الصحيحين، عن سيدي أبي سعيد رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: **(لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه)**،

قلنا: يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: (فمن؟)!

وفي البخاري عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عَن سيدي النبي صلى الله عليه وسلم: **(لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها، شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع)**،

فقيل: يا رسول الله، كفارس والروم؟

فقَالَ صلى الله عليه وسلم: (ومن الناس إلا أولئك؟)!

وأشد من هذا إيجاعًا وتخويفًا، ما ورد في الترمذي عن سيدي عبد الله بن عمرو، قَال: قَال رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: **(ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل؛ حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك)!**

ونعوذ بالله تعالى من مضلات الفتن؛ ما ظهر منها، وما بطن!

الأسوة في الشر

لا شك أنه لا أسوة في الشر، ولا اتباع لفاسد مفسد، ولا تشبه بمأفون أو ظالم أو شرير أو مضلل، لا الله تعالى يرضى، ولا رسله، ولا عباده الصالحون، ولا أهل العقل والانضباط الراشد، فالأسوة ينبغي أن تكون حسنة – كما عبر القرآن العظيم – أما القدوات المغموصة أو الفاسدة فلا محل لها بين من يريدون الإصلاح.

يقول الله تبارك وتعالى: (للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السَّوء، ولله المثل الأعلى، وهو العزيز الحكيم) النحل:60

وأثر عن سيدي ابن مسعود رضي الله تعالى عنه عدة جمل متقاربة في هذا السياق، منها قوله رضي الله تعالى عنه: (لا يكونن أحدكم إّمعة، قالوا: وما الإمعة يا أبا عبد الرحمن؟ قال: يقول:إنَّما أنا مع النَّاس، إن اهتدوا اهتديت، وإن ضلُّوا ضللت، ألَا ليوطِّن أحدكم نفسه على إن كفر النَّاس، ألا يكفر).

وقال رضي الله تعالى عنه: إذا وقع الناس في الشر فقل:لا أسوة لي في الشر، لِ يوطن المرء نفسه على أنه إن كفر الناس كلهم لم يكفر!

وقال رضي الله تعالى عنه: ألا لا يقلدن أحدكم دينه رجلًا؛ إن آمن آمن، وإن كفر كفر، فإنه لا أسوة في الشر!

وقال سيدي الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: (ليس لنا مثل السَّوْء)..

وقال الإمام ابن عبد البر في أبيات له:

والشّر ما فيه فديتك أسوة *** فانظر ولا تحفل بزلّة ماهر

والعجب ممن يلغون عقول، ويريدون التشبه بأسوات غير نقية؛ كأولئك الذين يقتدون متعرية في عريها، أو مبطلًا في باطله، أو منحرفًا في إجرامه، باعتباره قدوة وأنموذجًا يحتذى! وهذا في زماننا كثير مدهش لعقل الحليم،

ولقد كنت كتبت من سنين طويلة مقالة ساخرة عن التقليد غير المحسوب، لا بأس أن أوردها هنا، كانت بعنوان: امرأة بحاجب واحد:

يحلو لبعض عفاريت البشر أن يمارسوا ألعابهم بأبناء وبنات آدم، على أعلى مستويات الاحتقار والعبث والاستهانة، لا يخشون من عقلٍ رادع، أو خلقٍ دافع، أو حياء مانع.

وكما ينقل اللاعب الماهر كرته بين رجليه، ويرفعها لأعلى، ثم يرفسها للخلف، ويؤرجحها، وينطّقُها - دون أن تعترض الكرة أو تحتج - يفعل بعض الشياطين هذا بحواء، التي صارت كرة بين أيدي بارونات الموضة، وتجار بضاعة التحرير، وسماسرة أسواق التنوير، حتى مرضت هذه الحوَّاء بمرض مزمنٍ خبيث اسمه الموضة - أو الفَشَن كما تنطقها مدام فيفي بعضشي - وهذا المرض يشل مراكز التفكير، ويصيب العيون بالزغللة، ويزيد من إفرازات الهبل والخيبة القوية، ويصيب بهوس الفَشَنْ مهما كانت مضحكة أو مبتذلة.

- لقد نقلوها من النقيض إلى النقيض المرأة، وأخذوا يضحكون عليها بألف طريقة وطريقة، وهي دائمًا تصدق، وتقبل، وتتورط للمرأة المليون فيما يناقض أنوثتها، وفطرتها، ومصلحتها دنيا وأخرى..

انظر في موجات الثياب لتجد العجب العُجاب : من الشوال الفضفاض إلى الاستريتش اللاصق بالجلد، ومن السواريه مفضوح الظهر والصدر والساق إلى الهوت شورت والبيرشست، والاستومك، والمفيش؛ أي موضة الملْط، بلغة المتحضرين أيضًا.

ألبسوها اللجام، والسلاسل، والشوال، وملابس الرجال، وألبسوها الحرير كما ألبسوها الخيش، والواسع جدًّا والضيق جدًّا، والشفاف جدًّا والصفيق جدًّا، والفاضح جدًّا والساتر جدًّا، وجعلوها تمشي بحاجب واحد، وفردة حلق واحدة، أو تلبس جزمة فردتين، أو (كعب عالي) يقصم ظهرها، وهي راضية فخورة..

- جعلوها تضرب بالبوكس،وترفض الحبَل والولادة، وتسوق البلدوزر، وترفع صوتها (المسرسع) لتشخط وتنطر، وتنهى وتأمر، وتقول: أنا أرجل من ستين راجل؛ ثم تصدق نفسها!

ومن نظرة عجلى إلى الشعور فإنك ستجد تشكيلة من تسريحة الكلاب الكانيش، إلى المفلفل كشواشي الذرة المحترقة، إلى المجدول ستمائة جديلة، إلى السايح النايح المنقوع في البريانتين!

ومن الأسود الغطيس إلى الملون بالموف والفوشيه والأصفر الليموني وألوان الطيف السبعة..

ومن المقصوص كشراع المركب إلى كعب الكبَّاية،وعُرف الديك..

ومن الألاجارسون إلى إزالة الشعر كله، وهو - بلغة المتحضرين -زَلَطَّه فاشْ. وكل ذلك له زبائنه من أصحاب المال الوفير، والعقل الصغير، والبال القرير!

وتتسابق نساء الناس اللي فوق - الذين هم مصابيح الدجى وبدور الهدى - في متابعة هذه الموضات والتقاتل على اقتنائها، والتباهي بها، تدليلًا على ما هن فيه من عزٍّ، وما عليه عقولهن الأنصع بياضًا من اللبن الحليب.

ولأن أمي - رحمها الله - كانت فلاحة، تحرص على لبس الجلابية السودة والطرحة، وعاشت زمن البرقع واليشمك، ولأنني متزمت قروسطي (لا أزال أنظر للدنيا بعقلية القرون الوسطى) وأريد أن أردّ الناس ألفًا وأربعمائة سنة للوراء، زمانَ كانت النسوة يسرن بجانب الحوائط من الحياء، ويتلفعن بمروطهن فلا يعرفن من الغلس، فإن شهادتي في هذا مجروحة، لذا سأدع الحديث لقلم لعوب، نذر نفسه للتنويم والتريقة على عباد الله، وقضى عمره الثمين في الكلام الهايف، والنظريات الفشنك، رغم خفة دمه ولذع كلماته، وسيولة مداده ..

فماذا قال صاحب (نص كلمة وتوته توته) عن العبث المنظم بحواء، والاستخفاف بأنوثتها وآدميتها وكبريائها تحت مسمى الحرية، والتنوير، وحقوق المرأة ، والتحضر والاستنارة ، وهو في كل ما يقول في هذا الباب صادق:

كل نساء الأرض مجانين بالموضة، وكل نساء الأرض يعشن في جبلاية كبيرة كجبلاية القرود في الجيزة. وكما يتزعم الشمبانزي مسعود جبلاية القرود، يتزعم إيف سان لوران، وجي لاروش، وكاردان جبلاية نساء العالم.

فكبار مصممي الأزياء في باريس هم ملوك الجبلاية وسلاطينها، وأي إشارة من واحد منهم تقوم بعدها كل نساء العالم بعجين الفلاحة؛ تقليدًا للمانيكان التي تعجن عجين الفلاحة.

فإذا قال واحد مجنون مثل روبين نوريزان: المايوه الذي يعري الصدر هو الموضة، قامت النساء في جبلاية العالم بعجين الفلاحة.

وإذا قال إيرفن سيلرز إن فستان فوق الركبة هو الموضة، قامت نساء الأرض بعجين الفلاحة.

وإذا أعلن روبين توريز أن موضة الصيف القادم هي الفستان المفتوح البطن قامت النساء بعجين الفلاحة.

مع أن سلاطين الجبلاية هؤلاء يصدرون أوامرهم وفق ما تمليه نزواتهم الشخصية؛ فسلطان مثل جي لاروش يقول إنه أصبح يكره الارتباط بحب امرأة أثناء تصميم الموضة الجديدة، لأن المرأة التي يرتبط بها تقيده في خطوط الموضة:

فلو كانت بكرش جعل خطوط الموضة تخفي هذا الكرش..

ولو كانت رُكَبها وحشة غطى الركبتين..

فإذا كانت جميلة الركبتين رفع ذيل الفستان لفوق..

وإذا كانت سيقانها معيزي جعل الفستان طويلًا إلى تحت..

وإذا كانت مصابة بحروق في صدرها أقفل صدر الفستان بالضّبة والمفتاح!

فإذا لم يكن صدرها (مقفع) صمم الديكولتيه واسعًا جدًّا.

ولو أتيح للأطباء النفسيين أن يحللوا كل سلطان من سلاطين الجبلاية لوجدوا جذورًا عميقة لهذه الهبالات والعباطات التي يفرضونها على نساء العالم باسم الموضة.

وربما توصل هؤلاء الأطباء إلى أن الرجل الذي ابتكر موضة الصدر العاري في المايوه والفستان له أخت ترقص استربتيز في كباريه،وبناءً عليه فلتتعّر نساء العالم؛حتى لا يعيّره أحد بأخته العريانة؛ وعلّي وعلى أعدائي يا رب!

وربما وجد الأطباء أن مخترع الميني جوب من عيلة كلها أرتستات، وبناء عليه فعلى كل سيدة محترمة أن تلبس لبس الأرتست.

فلا شك أن الميول النفسية تتحكم في هؤلاء السلاطين. وقد كان ديور - مثلًا - رجلًا عجوزًا، زاهدًا في المرأة، ولهذا ابتكر لها موضة الفستان الطويل الذي انتشر في العالم كله، فلما خلفه الولد المراهق إيف سان لوران أسرع يعري سيقان المرأة إلى ما فوق الركبة.

وما أسهلها من شغلانة تقوم بها بمنتهى البساطة!

تقليعة واحدة وبعدها تصبح امبراطورًمن أباطرة الجبلاية الكبيرة!

تقليعة تقول للستات إن بيت فلان الفلاني للأزياء والتجميل يعلن أن الموضة الجديدة هي أن تكون الست بحاجب واحد، وبعدها ستختفي نصف حواجب الستات من الدنيا، وتصبح أي ست بحاجبين مضحكة لبقية الستات، لأن حواجبها ديموديه، يعني موضة قديمة.

لا فض فوك يا أحمد يا رجب، على هذا الكلام الجميل الذي يكشف عن هيافة قطاع كبير من الستات اللواتي يخربن ديارهن ودنياهن وآخرتهن من أجل آخر موضة. وأنت أختي المسلمة..

هل أيقنت أنها جبلاية، وأنهم يريدونها حياة قرود، بلا دين، ولا قيم، ولا مروءات، ولا جنة ولا يحزنون؟!

وهل تذكرين شروط الحجاب الشرعي وأدب المسلمات في الزي؟

أختي المسلمة: مكانك تحمدي.. أو تستريحي!

التشبه في الإبداع الدنيوي

جرت الحضارات والأمم على الاقتباس بعضها من بعض في أمور الدنيا، من العلوم ووسائلها، وأساليب إدارة الحياة وتصريفها، دون حساسيات، ولا إنكار، ولا تثريب..

وقد ثبت أن سيدي النبي صلى الله عليه وسلك اقتبس من الفرس فكرة الخندق، وأنه أمر سيدنا زيدًا بتعلم لسانهم، وأنهم أخذوا من الروم العملة (الدرهم والدينار) التي بقيت متداولة في الأمة الإسلامية نحو 70 سنة بعد الهجرة الشريفة، حين حكم التابعي عبد الملك ابن مروان رحمه الله تعالى، ثم أنشأ دارًا للسكة، وفك ارتباط الأمة بالعملة الرومانية، فهو رحمه الله تعالى أول من ضرب الدنانير، وكتب عليها آيات القرآن، فكتب على أحد وجهي الدنانير (قل هو الله أحد) وعلى الآخر: محمد رسول الله، أرسله بالهدى ودين الحق، وفي أيامه عربت الدواوين، ونقلت من الفارسية والرومية إلى العربية!

كما اتسع المسلمون في الدولة العباسية في التعريب، فاشتغلوا بنقل كتب الفرس والرومان إلى العربية، وتاجروا معهم، وانتقلوا بينهم، وتزوجوا منهم، وتعلموا لغاتهم، واقتبسوا من عمائرهم..

كما استفادت الحضارة الغربية من المسلمين في تفاصيل حياتها اليومية عبر ألف سنة، واقتبست علوم المسلمين، وعنيت بمنهجهم التجريبي والاستقصائي، واحتفت بعلمائهم وشعرائهم وفلاسفتهم، ونقلت كتبهم، وترجمت أفكارهم، ورسمت صورهم، وخلدت ذكرهم، وحفرت تماثيل لهم على نوافذ وأبواب الكاتدرائيات والجامعات..

فلا إشكال إذن في الاستفادة منهم دون سقوط في تقليد قيمهم ومعتقدهم، وإنما نأخذ ما حسن، وندع ما لا يناسب، فإن (الكلمة الحكمة ضالة المؤمن؛ أنى وجدها فهو أحق الناس بها)وهذا كلام صحيح في معناه، وإن لم يثبت حديثًا عن سيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وهذه سنة حضارية، لا تنكر، ولا يعاب بها أحد، بل العيب على من يأخذ حضارة غيره (بخيرها وشرها، حُلوها ومُرها يُحب منها وما يُكرها يُحمد منها وما يُعاب، وأننا لابد

أن نسير سيرة الأوروبيين، ونسلك طريقهم، ونذهب مذهبهم في الحكم والإدارة والتشريع) كما ذهب الدكتور طه حسين رحمه الله تعالى، والمتعلمنون والمتلبرلون، وسائر المنسلخين.

ولا يعتقدن أحد أن الاستفادة من شيء من أمور الدنيا، كبعض النظم الإدارية، والتعليمية، والفنية، والتقنية، والأدوات التي تسهل بها الحياة هي من التشبه، بل إن من يثير مثل هذه القضية عادة ما يقصد تشويه المتدينين، والإساءة لهم، والتنقيص من عقولهم، باعتبارهم يحرمون كل شيء، وهم في الوقت نفسه يستخدمون السيارة والكهرباء والثياب، والأجهزة الكهربية، وغيرها، فهذا كله مما يرد مورد التشويه والتقبيح، والحرب الفكرية، وغياب الإنصاف في الخصومة – حتى بين المتدينين بعضهم وبعض للأسف الشديد – فلله المشتكى..

وهذا معنى قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في اقتضاء الصراط المستقيم: (لا بأس بالمشاركة في الهدي الظاهر؛ إذا لم يكن ذلك الهدي الظاهر، إلا مباحًا محضًا لو تجرد عن مشابهتهم... .إلخ).

ابن رشد في صورة رافاييل (مدرسة أثينا) سنة 1510م. بجانب فيثاغوراس!

من أنواع التشبه

التشبه الصحيح المرغوب فيه:

وقد مر من قبل أنه التشبه بالأنبياء والصالحين، كما قال عز وجل فيهم: (أولئك الذي هدى الله، فبهداهم اقتده):

وبسيدنا إبراهيم عليه السلام (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم، والذين معه) الممتحنة:4.

وبسيدنا النبي صلى الله عليه وسلم خاصة: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) الأحزاب:21

وبالصالحين: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ) ابن ماجه في باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين (.... فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبً ا لم يدرك مد أحدهم ولا نصيفه) البخاري وغيره.

وبالعلماء والصلحاء وأهل الخير والعطاء: (إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا دينارًولا درهمًا؛ إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر) رواه الترمذي وغيره.

(من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب...) البخاري وغيره..

التشبه الخاطئ المذموم المؤثم:

ومنه التشبه بالشيطان الرجيم عليه لعائن الله تعالى، وقد مر في ذلك كلام، ومنه:

اتباعه فيما يأمر: (يأيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان، ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر...) النور:21..

والتشبه به في الأكل والشرب: (فإن الشيطان يأكل بشماله ، ويشرب بشماله...)..

والوسوسة (من شر الوسواس الخناس...)..

والنزغ والحض على المعصية والدلالة على الشر: (الشيطان يعدكم الفقر، ويأمركم بالفحشاء، والله يعدكم مغفرة منه وفضلًا، والله واسع عليم....) البقرة:268.

ومنه التشبه بالكفار والمشركين:

وفي ذلك قال الله تبارك وتعالى: (ولن ترضى عنك اليهودُ ولا النصارى حتى تتبع ملتهم! قل: إن هدى الله هو الهدى، ولئن اتبعت أهواءهم - بعد الذي جاءك من العلم - ما لك من الله من ولي ولا نصير) البقرة:120

وروى الإمام أحمد عن سيدي أنس رضي الله تعالى عنه، مرفوعًا: (قدمت المدينة ولأهل المدينة يومان يلعبون فيهما في الجاهلية، فقال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه: قدمت عليكم ولكم يومان تلعبون فيهما، إن الله عز وجل أبدلكم بهما خيرًا منهما: يوم الفطر ويوم النحر).

وروى مسلم عن سيدي عبد الله بن عمروبن العاص رضي الله عنهما، قال: رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم علي ثوبين معصفرين؛ فقال: (إن هذه من ثياب الكفار؛ فلا تلبسها) والأدلة كثيرة، مر من قبل بعضها.

وفي اقتضاء الصراط المستقيم:

عن ابن عباس رضي الله عنهما، في هذه الآية، أنه قال: (ما أشبه الليلة بالبارحة، هؤلاء بنو إسرائيل شبهنا بهم).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه، أنه قال: (لم أشبه الأمم ببني إسرائيل سمتًا وهديًا، تتبعون عملهم حذو القذة بالقذة، غير أني لا أدري أتعبدون العجل أم لا؟).

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: (المنافقون الذين منكم اليوم شر من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم!

قلنا: وكيف؟

قال صلى الله عليه وسلم: أولئك كانوا يخفون نفاقهم، وهؤلاء أعلنوه).

ومنه التشبه بأهل البدع والأهواء:

فقد ورد عن الإمام أبي قلابة عبد الله بن زيد بن عمرو أنه قال: "إياكم وأصحاب الخصومات، فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم، أو يلبسوا عليكم بعض ما تعرفون).

ومنه التشبه بالفواجر والفواسق:

لقوله صلى الله عليه وسلم كما أخرج أبو داود وغيره: (من تشبه بقوم فهو منهم).

قال الإمام القرطبي: "لو خُص أهل الفسوق والمجون بلباس منع لبسه لغيرهم، فقد يظن به من لا يعرفه أنه منهم، فيظن به ظن السوء، فيأثم الظان والمظنون فيه بسبب العون عليه، كما جاء في فيض القدير.

ومنه التشبه بأهل السفاهة والابتذال والترف:

ففي المتفق عليه عن سيدي حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لا تلبسوا الحرير ولا الديباج، ولا تشربوا في الذهب والفضة، ولا تأكلوا في صحافها؛ فإنها لهم في الدنيا ولنا، في الآخرة). فبين النبي صلى الله عليه وسلم الحكمة من النهي، وهي عدم مشابهة الكفار في عاداتهم.

ومنه التشبه بالجنس الآخر:

فقد لعن الله المتشبهين، ففي البخاري عن سيدي ابن عباس رضي الله تعالى عنهما مرفوعًا: (لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال).

ومنه التشبه بالحيوان:

حين ضرب الله المثل بالحيوان أو المتشبِّه به ضربه بشكل فيه كثير من التحقير والسخرية، إلا في مواضع قليلة ورد فيه ذكر الحيوان من باب المدح..

فضرب الله تعالى المثل لمن أوتي آيات الله، ودلائل صدق توحيده، ونقْل الأنبياء، فانسلخ وصد وأعرض، شبهه الله تعالى بالكلب: (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا، فانسلخ منها، فأتبعه الشيطان، فكان من الغاوين * ولو شئنا لرفعناه بها، ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه؛ فمثله كمثل الكلب: إن تحمل عليه يلهث، أو تتركه يلهث؛ ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا، فاقصص القصص لعلهم يتفكرون* ساء مثلًا القوم الذين كذبوا بآياتنا، وأنفسهم كانوا يظلمون) الأعراف:175، 177.

وحقر الله تعالى من الذين أوتوا وسائل المعرفة والتفكير، فأهملوها، وعاملوها كأنهم فاقدوها، فقال تبارك وتعالى:

(ولقد ذرأنا لجهنم كثيًرا من الجن والإنس، لهم قلوب لا يفقهون بها، ولهم أعين لا يبصرون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها؛ أولئك كالأنعام، بل هم أضل، أولئك هم الغافلون) الأعراف:179.

وضرب بالحمار مثلًا للذين لم يأتمروا بأوامره سبحانه في التوراة – من اليهود؛ خاصة الأحبار والرهبان - فقال عز من قائل: (مثل الذين حُملوا التوراة، ثم لم يحملوها، كمثل الحمار يحمل أسفارًا) الجمعة:5

وضرب الله تعالى لصاحب الصوت النكير العالي مثلاً بالحمار: (واقصد في مشيك، واغضض من صوتك؛ إن أنكر الأصوات لصوت الحمير) لقمان:19.

وضرب النبي صلى الله عليه وسلم المثل بـ (العائد في هبته كالكلب يأكل، فيقيء ثم يعود في قيئه) متفق عليه.

ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن هيئات معينة في الصلاة، كما ورد في صحيح مسلم وغيره: (علام تومئون بأيديكم كأنها أذناب خيل شمس؟!

إنما يكفي أحدكم أن يضع يده على فخذه ثم يسلم على أخيه من على يمينه وشماله).

وفي مسند أحمد وأبي يعلى أن سيدي أَبا هُرَيْرَةَ رضي الله تعالى عنه قَالَ: أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث، ونهاني عن ثلاث:

أمرني بركعتي الضحى كل يوم، والوتر قبل النوم، وصيام ثلاثة أيام من كل شهر..

ونهاني عن نقرة كنقرة الديك، وإقعاء كإقعاء الكلب، والتفات كالتفات الثعلب.

وروى مسلم عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم كان يفرش رجله اليُسرى وينصب رِجله اليُمنى، وكان ينهى عن عقبة الشَّيطان، وينهى أن يفرشَ الرجل ذِراعيه افتراشَ السبع.

DAILY HAHA

من أبواب ومجالات التشبه:

عار التشبه اللغوي

من أكبر وأخطر وآكد أشكال الانهزام الحضاري والتشبه بالآخر – في أي أمة - التشبه اللغوي، والسقوط في عشق لغة الآخر ورفعها على حساب اللغة الوطنية..

وإذا فعلت أمة ما فاعلم أنها هالكة مستسلمة مستخزية متنكرة، تهرب من جذورها، وتتخلى عن أحد أهم مناطات فخرها..

ثم إذا كانت اللغة التي يهرب منها أهلها لغة في منزلة اللغة العربية – لغة القرآن والسنة والأنبياء والعلماء والدين – فاعلم أن الجناية تتحول إلى خيانة، وجريمة، وعار لا يمحي بسهولة من سجلات التاريخ، في الدنيا، ويسأل الله تعالى عنها أصحابها يوم القيامة..

ونحن في حاضرنا التعيس نعيش هذه الجناية الفاضحة بشكل بشع، ونرى كيف يدعو بعض أبناء اللغة إلى نبذها، وتبني غيرها صراحة، ونرى كيف صارت الإنجليزية هي اللغة الأولى لكثيرين جدًّا، وكيف تحولت إلى لغة حديث يومية في منازل المترفين، وبعض أبناء الطبقة الوسطى الطموحين، وكيف تحولت إلى لغة رسمية في مكاتبات معظم المؤسسات (في دول الخليج مثلًا) وكيف صارت لغة المخاطبات في المطارات والمصانع والشركات الكبرى، وكيف صارت مساحات كبيرة في العالم (العربي) تحتاج إلى (تعريب)!

ومما أحس إزاءه بالعار أن يعجز (مثقفٌ) أو كاتبٌ وظيفته الكتابة، أو أستاذ أكاديمي، أو شخصية رسمية مسؤولة، عن ارتجال جملتين صحيحتين بالفصحى متتابعتين! بل إنني حضرت ثلاثة أيام ندوة عن الغزو الثقافي، يقوم عليها أكاديميون وإعلاميون ومسؤولون رفيعون، وخلال ثلاثة أيام لم يتكلم أحدهم العربية بشكل صحيح.. ولما جاء دور مناقشة بحثي للمؤتمر، بادرت بالسخرية من الموجودين الذين يتحدثون عن الغزو الثقافي، وهم مغزوون في أخص خصوصياتهم – لغتهم الأم – وجزمت أن بعضهم قادر على الارتجال

بالإنجليزية ساعتين دون أن يتلعثم، ثم هو في مؤتمر عن الغزو الثقافي يعجز عن ارتجال جملتين فصيحتين..

وكل من له علاقة باللغات والثقافة يعلم تعصب أبناء الدول الكبرى للغاتهم، وجهود دولة كالكيان الصهيوني في بعث لغتها الميتة، والتحدث بها، وعصبية بعض أبناء اللغات الأضيق كثيرًا من العربية لإحيائها، ونشرها، وفرض النطق بها، كما نرى عند الأمازيغيين والنوبة، والكُرد، والتركمان، وغيرهم!

ولا يعني هذا ألا نتعلم اللغات العالمية، ونتقنها، ونقرأ مصادرها بدقة ووعي، فهذا أمر مختلف، بل أزعم أنه بات ضرورة حضارية لا جدال فيها، خصوصًا لأهل الفكر والثقافة والتجارة والدعوة إلى الله عز وجل..

وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر سيدي زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه أن يتعلم لسان اليهود؛ ليكون واسطة مأمونة موثوقة بينه وبين اليهود في نقل كلامه إليهم، وكلامهم إليه:

ورد في مسند أحمد رحمه الله تعالى عن خارجة بن زيد أن أباه زيدًا – رضي الله عنهما - أخبره أنه لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قال زيد:

ذهب بي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأعجب بي، فقالوا: يا رسول الله هذا غلام من بني النجار، معه مما أنزل الله عليك بضع عشرة سورة.

فأعجب ذلك النبي صلى الله عليه وسلم وقال: يا زيد: تعلم لي كتاب يهود؛ فإني والله ما آمن يهود على كتابي! قال زيد فتعلمت كتابهم؛ ما مرت بي خمس عشرة ليلة حتى حذقته. وكنت أقرأ له كتبهم إذا كتبوا إليه صلى الله عليه وسلم، وأجيب عنه إذا كتب.

وفي المسند أيضًا: قال زيد بن ثابت رضي الله عنه: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تحسن السريانية؛ إنها تأتيني كتب)!

قلت: لا.. فتعلمها فتعلمتها في سبعة عشر يومًا..

وقد سمعت العلامة رشدي فكار المصري المتفرنس رحمه الله تعالى، قبل ربع قرن، ينادي بالتمكين لـلغة الأم، وألا تزاحَم أبدًا في عقل الطفل حتى يتم اثنتي عشرة سنة، ويتمكن منها وتتمكن منه، وإلا فإنه سينشأ مسخًا لغويًّا فاقدًا لهويته..

ولمن لا يعرف العلامة رشدي فكار رحمه الله تعالى، أقول إنه أول عربي عالم لغوي وشرعي انضم لأكاديمية العلوم (مجمع الخالدين) بفرنسا **1973/2/16م.** وكرمته حكومة سويسرا بوضع اسمه فوق أحد شوارع العاصمة، كما اختارته واحدًا من فريق العلماء الذين يفحصون بكل أدوات العلم مشكلات سويسرا الناجمة عن الثروة المتضخمة. وهو أول مصري وعربي وأول مفكر من العالم الثالث بعد الشاعر الهندي طاغور تقر الأكاديمية السويدية ولجنة نوبل في الآداب ترشيحه رسميًّا للجائزة!

انتسب بالعضوية لأكثر من **42** جمعية دولية وأكاديمية عالمية، وهو عضو أكاديمية الآداب والفنون والعلوم بإيطاليا. وعضو أكاديمية العلوم الفرنسة التي لا يحصل عليها إلا العلماء المتميزون. نال الدكتوراه من جامعة باريس مع مرتبة الشرف الأولى **1956م.** ومرتبة الأستاذية مع درجة دكتوراه الدولة من جامعة جنيف **1967م.**

عمل أستاذًا بجامعتي جنيف وجامعة نيوشاتل منذ **1964م.** ومحاضرًا بالسوربون في القسم العلمي للدراسات العالية بعد تخرجه منه لمدة عام، وأستاذًا محاضرًا بمعهد العلوم الاجتماعية بجامعة محمد الخامس التابع لمؤسسة اليونسكو تحت إشراف جامعة نيوشاتل **1962**، وأستاذ بجامعة محمد الخامس - المغرب منذ **1968م..** وحاضر في جامعة جنيف بمعهد الألسن وكلية الآداب، ودُعي للتدريس وإلقاء المحاضرات في عدد من الجامعات العربية..وكان عالًما لغويًّا وشرعيًّا مثّل مدرسة فكرية إسلامية تحسن التعامل مع الغرب،، رحمه الله تعالى.

أمريكي يغار على الإنجليزية

ومن أبواب التشبه:

انتحال أزياء الآخرين وتعميمها

الصهاينة سرقوا الكوفية الفلسطينية ورسموا عليها النجمة السداسية

والزي من بطاقات الهوية الكاشفة ولا شك، وأعني به **الزي الذي إذا رأيته عرفت أن صاحبه ينتمي لطائفة دينية، أو عرقية، أو سياسية، تخالف دينك ومعتقدك، أو كانت شعارًا للمجّة والفسقة والدُّعار وسيئي السيرة**، فلا شك أن ملابس القساوسة أو الحاخامات والراهبات والهندوس والبوذيين، وعبدة الشيطان، وأصحاب النِّحَل ملابس كاشفة لهويات أصحابها..

أما الملابس المشتركة، التي لا تميز هوية صاحبها، أو كانت مميزة لهوية غير دينية، كالبذلة والقميص والبنطلون والملابس الرياضية العامة فلا تمثل إشكالية شرعية عند أحد؛ فيما أعلم.

في صحيح مسلم عن عبد الرحمن بن مل النهدي أبو عثمان قال: كتب إلينا عمُر ونحن بأذربيجانَ: يا عتبةُ بنَ فرقد! إنه ليس من كدِّكَ، ولا من كَدِّ أبيك، ولا من كدِّ أمِّكَ. فأشبِعِ المسلمين في رِحالهم ، مما تشبُع منه في رَحلكَ، وإياكم والتَّنعَم، وزيَّ أهلِ الشركِ، ولبوسَ الحريرِ؛فإنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم نهى عن لُبوسِ الحريرِ.. الحديث.

وفي مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما قال: رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم علي ثوبين معصفرين؛ فقال: (إن هذه من ثياب الكفار؛ فلا تلبسها).

وروى الترمذي بسند حسن صحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (حرم لباس الحرير والذهب على ذكور أمتي، وأحل لإناثهم).

وفي البخاري عن سيدي عبد الله بن عمر المحدث قال: أخذ عمر جبة من إستبرق تباع في السوق، فأخذها، فأتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله: ابتع هذه، تجمل بها للعيد والوفود، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنما هذه لباس من لا خلاق له).

وفي مسلم عن سيدي علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال: نهاني رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم عن التختُّم بالذهبِ، وعن لباسِ القَسِّيِّ،وعن القراءةِ في الركوعِ والسجودِ، وعن لباسِ المُعصفرِ، قال في فتح الباري (باختصار شديد مني): القسي: نسبة إلى حصن بمصر بالقرب من الفرما من جهة الشام، وقال النووي: هي بقرب تنيس، وحكى أبو عبيد الهروي أنها بالزاي ، نسبة إلى القز، وهو الحرير، فأبدلت الزاي سيناً.

وفي سنن الترمذي بسند حسن صحيح عن سيدي أبي موسى الأشعري عبد الله ابن قيس رضي الله تعالى عنه، مرفوعًا: (حُرِّم لباسُ الحريرِ والذهبِ على ذكور أمتي، وأُحِلَّ لإناثِهِم). وفي صحيح الجامع عن سيدي معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنهما مرفوعًا: نهى عن النوح والتصاوير، وجلود السباع والتبرج، والغناء والذهب، والخز، والحرير..

ومما يتعلق بالثياب أيضًا أن يلبس الرجال لبسة المرأة والعكس، فقد روى أبو داود في سننه، من حديث سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل..

ومن أبواب التشبه:

التبرج للنساء والرجال

ومما يدخل في باب التشبه المقيت، التبرج وإظهار المفاتن التي لا يحل إظهارها؛ فضلًا عن إبرازها، وهي فتنة عصرنا، بعد أن تحول التبرج إلى عقيدة، وسلوك، ومنهج حياتي عند النساء، وبعد أن قامت على التبرج صناعات وأعمال تدر تريليونات الدولارات كل عام، ونشأت حوله فلسفات عمادها التعرية، والإبراز، والإثارة..

وقد حرم الله تعالى إبداء النساء الزينة لغير من يحلون لهن، قال الله تبارك وتعالى في سورة النور:31: (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن، ويحفظن فروجهن، ولا يبدين زينتهن؛ إلا ما ظهر منها، وليضربن بخمرهن على جيوبهن، ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن، أو آبائهن، أو آباء بعولتهن، أو أبنائهن، أو أبناء بعولتهن، أو إخوانهن، أو بني إخوانهن، أو بني أخواتهن، أو نسائهن، أو ما ملكت أيمانهن، أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال، أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء، ولا يضربن بأرجلهن؛ ليعلم ما يخفين من زينتهن، وتوبوا إلى الله جميعًا أيها المؤمنون، لعلكم تفلحون)..

وقال تعالى: (والذين هم لفروجهم حافظون* إلا على أزواجهم، أو ما ملكت أيمانهم؛ فإنهم غير ملومين* فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون) المعارج:29-31.

وفي الترمذي بسند حسن، عن بَهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده رضي الله عنهم، قال: قلت: يا نبي الله: عوراتنا، ما نأتي منها وما نذر؟

قال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (احفظ عورتك إلا من زوجتك، أو ما ملكت يمينك)..

قلت: يا رسول الله، إذا كان القوم بعضهم في بعض؟

قال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (إن استطعت ألا يراها أحد فلا يراها).

قلت: إذا كان أحدنا خالياً؟

قال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (فالله تعالىأحق أن يُستحيا من الناس).

وفي صحيح الجامع عن أبي أذينة الصدفي وسليمان بن يسار ، مرفوعًا: (خير نسائكم الولود الودود، والمواسية المواتية إذا اتقين الله، وشر نسائكم المتبرجات، المتخيلات، وهن المنافقات، لا يدخل الجنة منهن إلا مثل الغراب الأعصم)..

ومن سنة كثير من العربيات في زماننا – للأسف – الإفراط في التبرج بدرجة شاذة، تُخرج وجوههن عن حد العقل؛ لفرط ما يلونّ، ويغيرن، ويضفن، ويبرزن، ويظهرن، حتى بتن يحولن الوجوه أحيانًا إلى رقع لونية غريبة، لا علاقة لها بطبيعة بشرة الإنسان.

ومن التبرج عند النساء والرجال لبس الباروكة والوصل بالشعور المستعارة، ففي البخاري عن سيدي معاويةَ بَن أبي سفيانَ رضي الله عنهما أنه عامَ حجٍّ، وهو على المنبرِ، قال - وتناول قُصَّةً من شعرٍ كانتْ بيدِ حرسيٍّ -: أينَ علماؤكْم؟ سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ينهى عن مثلِ هذه ، ويقولُ: (إنما هلكتْ بنو إسرائيلَ حينَ اتخذهذه نساؤهْم).

وفي مسلم البخاري عن سيدي معاويةَ بَن أبي سفيانَ رضي الله عنهما أنه قال: (إنكم قد أحدثتم زِيًّ سوءٍ، وإنَّ نبيَّ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم نهى عن الزورِ. قال:وجاء رجلٌ بعصًا على رأسها خِرْقَةٌ. قال معاوية: ألا وهذا الزورُ. قال قتادة:يعما يُكْثِرُ به النساءُ أشعارهنَّ من الخِرَقِ).

قال في المغني - فصل الواصلة والمستوصلة والنامصة والمتنمصة -: وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه (لعن الواصلة والمستوصلة والنامصة والمتنمصة والواشرة

والمستوشرة) فهذه الخصال محرمة؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لعن فاعلها، ولا يجوز لعن فاعل المباح. والواصلة: هي التي تصل شعرها بغيره، أو شعر غيرها. والمستوصلة: الموصول شعرها بأمرها، فهذا لا يجوز للخبر، لما روت عائشة رضي الله عنهاأن امرأة أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: إن ابنتي عرس وقد تمزق شعرها، أفأصله؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لعنت الواصلة، والمستوصلة!

كما يدخل في ذلك الوشم الذي صار موضة بين البنات والمراهقين في بلاد المسلمين، بعد أن اتسع نطاقه بين غير المسلمين حتى صار بعضهم يشم جسده كله، وبعضهم يشم مواضع حساسة عدة، وبعضهم يرسم شعارات نازية، أو إباحية، أو حزبية، ويصور لوحات كاملة، ملأى برموز عبادة الشيطان، أو رموز وثنية، وصلبان، وصور مقدسة، وأشياء كثيرة غير ذلك..

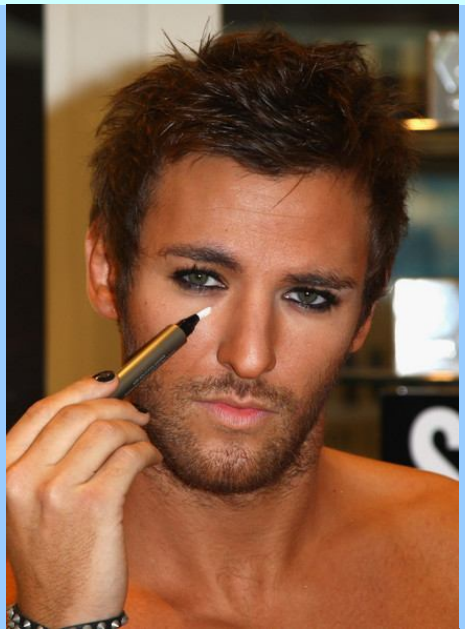

ومن أبواب التشبه:

التقليد في الرموز الدينية: تعليقها ولصقها

وكما تنتشر الرموز غير المقبولة على الجسم البشري، تنتشر في هيئة إكسسوارات، وملصقات على السيارات، والمنازل بشكل مستفز، لما تحوي من رسوم لا أخلاقية أحياناً، وتبشيرية أحياناً، وتافهة أحايين.. ومن ذلك:

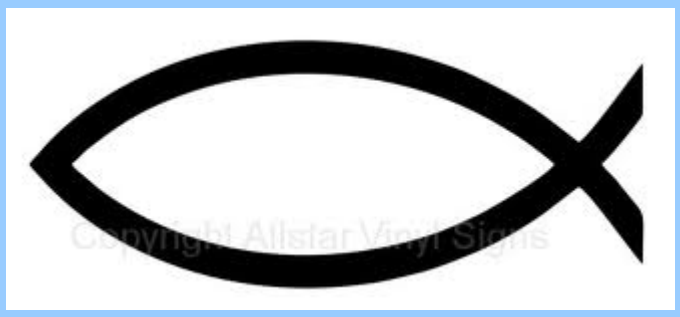

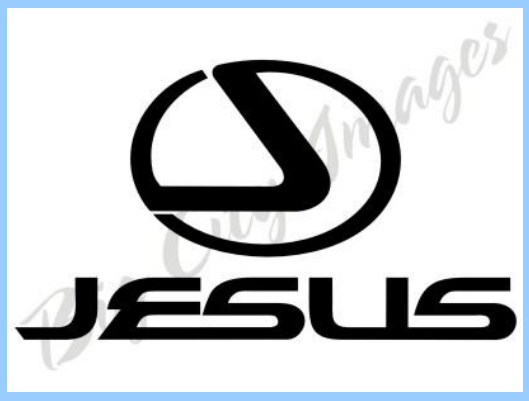

AISTAN DESIGN
NO PHOTOGRAPH
19 80 later
AISTAN DESIGN
AISTAN design
GT

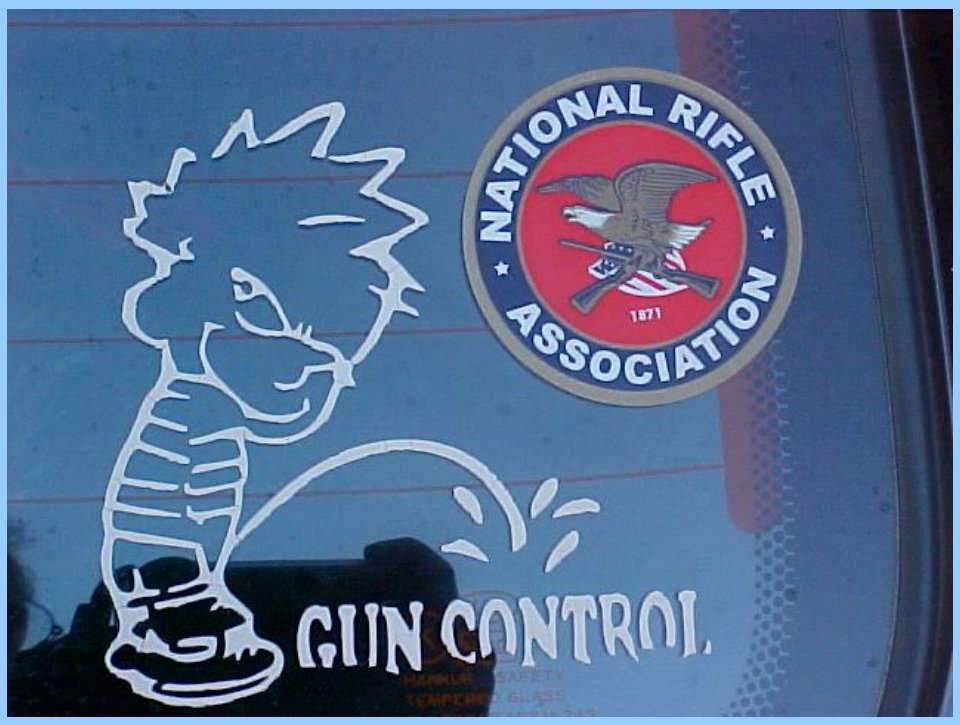
NATIONAL RIFLE ASSOCIATION
1871
GUN CONTROL

ومن أبواب التشبه:

المشابهة في الأعياد الدينية والاحتفال بها

عن معنى العيد: ممكن؟ بدون زعل؟

اللهم نجنا من البلاقع الثلاث: التجهيل والتفسيق والتبديع يا رب العالمين.. ولنجعلها قضية للمناقشة، لا للتهاجي والتحقير.. ممكن؟ يا رب..

أزعم أننا نقع في أمر الاحتفاليات والأعياد - كعادتنا في كثير من الأحكام - بين تطرفين عجيبين، وخذ موضوع: العيد، وستجد الناس فريقين:

***** فريقًا عنده (إسهال) في الأعياد، فلا شيء عنده ممنوع ولا مرفوض؛ حتى إنهم ليحتفلون بأعياد فرعونية، ويهودية، ومجوسية، ونصرانية، كالغطاس، وإسلامية بدعية كالموالد، وغربية علمانية! وكلها مصادمة للعقل الصحيح، والشرع الصريح، والمواطنة الحقة!**

نجد احتفالات – أحيانًا على المستوى الرسمي والشعبي - بأبي حصيرة (قبل اكتشاف يهوديته) وسبت النور اليهوديين، وأبي ناعون، ووفاء النيل، وشم النسيم من أعياد الفراعنة.. ورأس السنة، وعيد ميلاد سيدنا المسيح عليه السلام والفالانتاين، وكذبة إبريل، والغطاس، وخميس السعف، وكل القديسين، وغيرها من الأعياد المسيحية الدينية.

بجانب النوروز أوالنيروز المجوسي، الذي يوافق اليوم الأول للعام الشمسي الكردي الجديد، والتاسع لشهر مارس حسب التقويم اليوناني، والحادي والعشرين من مارس في التقويم الجريجوري، ويتساوى فيه الليل مع النهار، ويحتفل به الكرد والفرس منذ القدم..

بجانب مولد سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم، ونصف شعبان، وليلة القدر، والإسراء والمعراج، والسنة الهجرية..

بجانب موالد (أولياء) بعدد شعر الرأس، حتى إن لتجار الموالد (أصحاب المراجيح والسواقي، والدراويش) جندة سنوية يجوبون بها القطر، كسبًا للرزق، ودعوة للموتى الذين لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا!

*** وفريقًا يحرم الاحتفاليات كلها – غير الفطر والأضحى – من جهة المعنى الشرعي؛ حتى لو كانت من عوائد الناس، ومظاهر بهجتهم الحياتية..

على أساس أن العيد مسألة توقيفية..

وأن الشريعة أغلقت باب الاحتفال، إلا في الفطر والأضحى وحدهما!

وترى هؤلاء – مع ذلك - يتوسعون (دون النظر للشرع، وهذا عجيب) فيعتبرون عيد الفطر ثلاثة أيام أو أربعة (وبدون دليل شرعي، بل بحسب إجازة الحكومة) ويعتبرون يوم الجمعة عيدًا أسبوعيًّا؛ مع أنه عيد بالمعنى اللغوي وحده؛ إذ إنه يعود، وفيه يجتمع الناس للصلاة؛ غير أنه ليس عيدًا بالمعنى الاحتفالي؛ فإن يوم الجمعة يوم عمل في الشريعة ككل أيام الله تعالى: (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض، وابتغوا من فضل الله، واذكروا الله كثيرًا؛ لعلكم تفلحون* وإذا رأوا تجارة أو لهوًا انفضوا إليها، وتركوك قائمًا، قل: ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة، والله خير الرازقين) الجمعة:10-11!

والحجج في التضييق والتحريم هنا: سد الذرائع، وعدم التشبه، واجتناب الابتداع!

فهل لهذا وجه فعلا.. أم إن الحظر مجرد (فهم) منقول عن ناقل، عن ناقل، عن ناقل من مصدر واحد، وفهم واحد، إلى منتهى السند المنقطع، مع وجود إمكانية النقاش والرد!؟

فليس ثّم فيما أزعم (نصٌّ) صريح، بل (فهم) اكتسب قوة نص القرآن والسنة، وأشخاص اكتسبوا منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم في قلوب الناس، فصار فهمهم نصًّا، وشخصهم مشرعًا!؟

ودعنا نتحدث في الأمر قليلًا:

يتفق اللغويون والفقهاء على أن لفظة العيد اشتقت من العود، أو الاعتياد، لأنهم اعتادوه، ولأن لله تعالى فيه عوائد إحسان، تعود على المسلمين في كل يوم، كالفطر بعد المنع عن الطعام، والصدقات، وإتمام الأضاحي، والذكر، وغير ذلك.

والملحوظ هنا أن المعاني كلها شرعية، لما ثبت من الأعياد بالنص من الشريعة الغراء..

لكن لو اعتبرنا التحريم بالمعنى اللغوي للعيد فإن أشياء كثيرة ستحرم بمجرد عودها، واعتيادها، وانتظارها، والاجتماع لها، كدوريات الكرة في زماننا، ومواعيد المناسبات الدولية، والمؤتمرات السنوية، وما شابه؛ وهذا ما لا يقول به أحد، ولا يقبله العقل!

فقد كان العرب ثم المسلمون - قبل وبعد الإسلام - يجتمعون في أيام بعينها، من كل عام، ومواسم لا علاقة لها بالدين –غالبًا - كأسواق عكاظ، ومجنة، وذي المجاز، والمربد الذي عُدَّ أشهر أسواق العرب بعد الإسلام (وكان سوقًا تتخذ فيه المجالس، ويخرج إليه الناس كل يوم، وتتعدد فيه الحلقات يتوسطها الشعراء والرّجاز، ويؤمّه الأشراف وسائر الناس، يتناشدون ويتفاخرون، ويتهاجون ويتشاورون! وكان له شأن كبير في ذلك العصر، وظّل على مجده هذا حتّى خربت البصرة، وتقلّص عمرانها، فخرب وصار بينه وبين البصرة نحو ثلاثة أميال على عهد ياقوت الحموي الذي ذكر هذا في معجم البلدان. وكان للمربد شأن عظيم في اللّغة، قريب من شأن عكاظ؛ لولا امتياز عكاظ بموقعه في وسط الجزيرة العربية، وبعده عن مناطق العجمة. ومهما يكن من أمر فقد كان له أثره الكبير في اللغة والأدب، حيث كان يعجُّ بالفصحاء الأعراب، وأعلام الرواة العلماء يجمعون الفصاحات، ويتصيدون الشواهد التي أسس النحاة عليها قواعدهم وأصلحوها. كما كانت فيه حلقات الرجَّاز مثل رؤبة بن العجاج، وأبي النجم العجلي، والشعراء مثل جرير والفرزدق وذي الرمَّة والراعي النميري. وكان المربد أيضًا ساحة مشهورة لفن خطير من فنون الشعر هو النقائض.

واستمر المربد يؤدي رسالته وغرضه حتى العهد الأول من العصر العباسي. وورث مكانة سوق عكاظ، وحلّ محلّه، فكان قبلة العلماء والشعراء، يأخذون عن مرتاديه ويدوِّنون ما يسمعون فكانت تلك أزهى عصوره) أ.هـ.

وما سمعنا أن أحدًا رفض هذا (العيد) ولا المجيء إليه، ولا الضرب عليه بخاتم التحريم، ولا القول بأنه عيد بدعي، محرم مرفوض!

وفي أبي داود عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إني نذرت أن أنحر إبلًا ببُوانة؟ فقال صلى الله عليه وسلم: (هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يُعبد)؟ قالوا: لا. قال صلى الله عليه وسلم: (هل كان فيها عيدٌ من أعيادهم)؟ قالوا: لا. فقال صلى الله عليه وسلم: (فأوف بنذرك؛ فإنه لا وفاء بنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم).

والملاحظ هنا – والله أعلى وأعلم – أنه صلى الله عليه وسلم اهتم بما لوكان هذا المكان موضع احتفالية دينية بشكل به، من خلال وجود صنم، أو عيد من أعياد الجاهلية، فلما لم يثبت من ذلك شيء، أجاز صلى الله عليه وسلم الأمر، وهو واضح!

وأظن أن النهي عن الأعياد غير الإسلامية إنما جاء في الأعياد الدينية وحدها – كالأعياد التي ذكرت بعضها - خروجًا من الموافقة، والتشبه، وسدًّا لذرائع الشرك والابتداع.

أما الأعياد الاجتماعية والسياسة، التي يستحدثها الناس، وفق رؤاهم القومية، أو إنجازاتهم السياسية، أو خصائصهم العرقية، أو مناسباتهم الشخصية، فكيف نطلق عليها التحريم؟ وكيف نعمم الحكم، فلا يكون إلا الفطر والأضحى وحدهما!

لقد وجدت لبعض المشايخ كلامًا عاطفيًّا يسهل الرد عليه، مداره على التشبه وتقليد الكفار، وحديثه صلى الله عليه وسلم: (من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد)!

وأجزم أن الأمر هنا هو الدين وما يتعلق به (أمرنا)، مما ينسب إليه وليس منه، أما لو كان في أعمال الدنيا، أو من عوائد الناس، ومظاهر بهجتهم الحياتية.. فلماذا يرد؟

وهل أفتى العلماء كلهم بهذا أم إن هذه الفتوى محصورة ضيقة في نفر لا يعدون على أصابع يد واحدة من المعتبرين؟

وهل ثم نصوص صحيحة صريحة في هذا، أم إنها فهوم؟

وهل يكون التحريم بالفهم والاستنباط؟ معقول؟

وهل التحريم تحريم مدارس الفقه كلها، أم تحريم مدرسة واحدة (أنا من أبنائها) أردنا تعميمه على الناس أجمعين؟ وهل هذا صحيح فقهًا؟

مرة ثانية: ليس ثّم (نصٌّ) صريح، بل (فهم) اكتسب قوة نص القرآن والسنة، وأشخاص اكتسبوا منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم في قلوب الناس، فصار فهمهم نصًّا، وشخصهم مشرعًا، في نفوس بعض الناس؛ وإن لم يرد هؤلاء السادة العلماء ذلك!

وكيف تغيب عن عقولنا الأدوار العديدة للعيد: طعم العيد وبهجته/ الدور الاجتماعي/ الدور الاقتصادي/ الدور الترويحي.. وغيرها من الأدوار!؟

لقد لاحظت إفراط بعض الأمم في الاحتفال بالأعياد: أحيانًا لاستحياء التاريخ، وتنشيط الذاكرة الشعبية، وأحيانًا لمقاومة ثقافات بعينها، وأحيانًا لإلهاء، وأحيانًا للترفيه والتجارة والتسويق، وفي أحيان كثيرة للمحافظة على ثقافة دينية محلية..

وأحيانًا للفخر والتباهي بالإنجاز، أو بالاستمرارية، كما استحدثوا العيد الخشبي (بلاش اليوبيل لأنها يهودية) احتفالًا بمرور خمس سنوات على حدث معين (كتأسيس شركة، أو زواج، أو تحقيق إنجاز كبير) فاليوبيل الصفيحي بعد مرور عشر سنين، فالكريستالي بعد خمس عشرة سنة، فالخزفي بعد عشرين سنة، فالفضي بعد خمس وعشرين سنة، فاللؤلؤي بعد ثلاثين، فالعقيقي بعد أربعين، فالذهبي بعد خمسين، فالماسي بعد ستين..

وتضفي هذه الأعياد طعمًا ثقافيًّا واجتماعيًّا، واقتصاديًّا خاصًّا، فلماذا المنع؟

أخرجوا الأعياد الدينية التي لا توافق الإسلام – فهي قطعًا مردودة مرفوضة - ثم أجيبوني: لماذا يمنع الباقي، ويسفه ويبدع!؟ والأمر متروك للمناقشة العاقلة..

تنويعات عن المشابهة والتقليد في السنة المشرفة

اتسعت موارد التشبه والمحاكاة في السنة اتساعًا واضحًا لتعمق مفهوم التشبه: ما يرضاه الله وما لا يرضاه/ النافع والضار/ الإيجابي والسلبي، وفيما يلي بعض هذه الموارد:

لكل شيء شبيه ويمكن تقليده؛ إلا الله تعالى:

يقول تبارك وتعالى، في سورة الشورى، **11-12:** (فاطر السموات والأرض، جعل لكم من أنفسكم أزواجًا، ومن الأنعام أزواجًا، يذرؤكم فيه، ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير* له مقاليد السموات والأرض، يبسط الرزق لمن يشاء، ويقدر؛ إنه بكل شيء عليم).

وقال تعالى في الأنعام، **103:** (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، وهو اللطيف الخبير).

ومن كلام الزّهدة ذي المعنى الرائق: كل ما خطر ببالك فالله ليس كذلك، أي إنه تعالى لا يشبه شيئًا من مخلوقاته، ولا يشبهه شيء، وإن الخيال البشري، والتصور الإنساني المحدود لا يمكن أن يرقى لمراقي الذات السنية، ولذا ورد في الصحيح النهي عن التفكير في الذات العلية، وظن إمكان إدراك الكنه، فقال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه: (يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغ أحدكم ذلك فليستعذ بالله ولينته)! وفي الآثار الضعيفة: (تفكروا في خلق الله، ولا تفكروا في الله). معجم الطبراني عن سيدي ابن عمر رضي الله عنهما..

وفي صحيح سنن الترمذي عن سيدي أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه أن المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: انسب لنا ربك! فأنزل الله تعالى: (قل هو الله أحد* الله الصمد) والصمد المستغني عن كل شيء، والذي يفتقر إليه كل شيء، الذي (لم يلد ولم يولد)؛ لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت، ولا شيء يموت إلا سيورث، وإن الله تبارك وتعالى لا يموت ولا يورث، (ولم يكن له كفًوا أحد) قال: لم يكن له شبيه ولا عدل وليس كمثله شيء..

وفي التذكرة للقرطبي عن سيدي أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعًا قال: (إذا كان يومُ القيامة مثِّل لكلِّ قومٍ ما كانوا يعبدونَ في الدنيا، فيذهبُ كلُّ قومٍ إلى ما كانوا يعبدونَويبقَى أهلُ التوحيد، فيقالُ لهم: ما تنتظرونَ وقد ذهب الناسُ؟

فيقولون:إنَّ لنا ربًّا كنا نعبدهُ في الدنيا ولم نَره..

قال: وتعرفونه إذا رأيتموه؟ فيقولونَ: نعم،

فيقالُ:فكيف تعرفونهُ ولم ترْوه؟ قالوا: إنه لاشبيهَ له؟

فيكشفُ لهم الحجابَ، فينظرونَ إلى الله تعالى فيخرونَ له سُجَّدًا، وتبقَى أقوامٌ ظهورُهم مثل صياصي البقرِ، فيريدونَ السجودَ فلا يستطيعونَ، فذلكقولهُ تعالى: (يوم يكشف عن ساق، ويدعون إلى السجود، فلا يستطيعون) المنافقون:42.

المشابهة تورث المحبة، وربما المطابقة:

ففي سنن أبي داود عن سيدي ابن عمرو رضي الله تعالى عنهما مرفوعًا: (من تشبه بقوم فهو منهم).

ومثله في صحيح الترغيب عنه سيدي ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، مرفوعًا: (من لبس ثوب شهرة ألبسه الله إياه يوم القيامة، ثم ألهب فيه النار، ومن تشبه بقوم فهو منهم).

التميز والوضوح والعزة سمة في المسلمين:

قال الله تبارك وتعالى: (ولله العزة، ولرسوله، وللمؤمنين؛ ولكن المنافقين لا يعلمون) المنافقون:8..

وقال تعالى: (ولا تهنوا، ولا تحزنوا، وأنتم الأعلون؛ إن كنتم مؤمنين) آل عمران عليهم السلام:139.

وفي الترمذي وغيره، عن سيدي عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، مرفوعًا: (ليس منا من تشبه بغيرنا، لا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى....).

وفي الحاكم وأبي داود وغيرهما عن سيدي شداد بن أوس رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: (خالفوا اليهود؛ فإنهم لا يصلون في نعالهم ولا خفافهم).

وقال صلى الله عليه وسلم أيضًا كما أخرج مسلم عن سيدي ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، مرفوعًا: (خالفوا المشركين: أحفوا الشوارب، وأوفروا اللحى).

التشبه في الظاهر، والسمت الصالح توفيق وقربة:

في سنن أبي داود عن سيدي ابن عباس رضي الله تعالى عنهما مرفوعًا: (إن الهدي الصالح، والسمت الصالح، والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزءًا من النبوة)

وهو في سنن الترمذي عن سيدي عبد الله بن سرجس رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: (السمت الحسن، والتؤدة، والاقتصاد، جزء من أربعة وعشرين جزءًا من النبوة).

تقدير القدوات وإنزالهم منازلهم:

في مسلم عن سيدي ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: كنا عند رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم. فقال: أخبروني بشجرة شبه، أو كالرجل المسلم، لا يتحات ورقُها". قال ابن عمر: فوقع في نفسي أنها النخلة. ورأيتُ أبا بكرٍ وعمر لا يتكلَّمان. فكرهتُ أن أتكلم أو أقولَ شيئًا، فقال عمر رضي الله تعالى عنه: لأن تكون قلتَها أحبّ إليَّ من كذا وكذا.

الاقتداء بالآخرين في العادات، وأمور الدنيا التي لا نص فيه، جائز ولا إشكال فيه:

في أبي داود عن سيدي ابن عباس رضي الله عنهما، قال:..... إنما كان هذا الحي من الأنصار - وهم أهل وثن - مع هذا الحي من يهود - وهم أهل كتاب، وكانوا يرون لهم فضلًا عليهم في العلم - فكانوا يقتدون بكثير من فعلهم.

وكان من أمر أهل الكتاب ألا يأتوا النساء إلا على حرف، وذلك أستر ما تكون المرأة. فكان هذا الحي من الأنصار قد أخذوا بذلك من فعلهم.

وكان هذا الحي من قريش يشرِّحون النساء شرحًا منكرًا، ويتلذذون منهن مقبلات ومدبرات ومستلقيات. فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امرأة من الأنصار، فذهب يصنع بها ذلك، فأنكرته عليه، وقالت: إنما كنا نؤتى على حرف، فاصنع ذلك، وإلا فاجتنبني! حتى شري أمرهما!

فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله عز وجل (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم) أي مقبلات ومدبرات ومستلقيات، يعني بذلك موضع الولد!

بعض التشبه باب من أبواب جهنم والعياذ بالله رب العالمين:

ففي صحيح الترغيب عن سيدي عمار رضي الله تعالى عنه ، مرفوعًا: ثلاثة لا يدخلون الجنة أبدًا: الديوث، والرجلة من النساء، ومدمن الخمر..

قالوا: يا رسول الله! أما مدمن الخمر فقد عرفناه، فما الديوث؟

فقال صلى الله عليه وسلم: (الذي لا يبالي من دخل على أهله)..

قلنا: فما الرجلة من النساء!؟

قال صلى الله عليه وسلم: (التي تَشبه بالرجال)!

الاقتداء بالأنبياء أمر رباني في كتاب الله تعالى:

ففي البخاري عن مجاهد بن جبر المكي رحمه الله، أنه سأَل ابَن عباسٍ رضي الله تعالى عنهما: أفي {ص} سجدةً؟ فقال: نعْم، ثم تلا: {ووهبنا له إسحق ويعقوب - إلى قولِه – فبهداهم اقتده} ثم قال: هو منهم....قلتُ لابنِ عباسٍ، فقال: نبيُّكم صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ممَّن أُمِر أن يَقتَدِيَ بهم.

وفي صحيح الجامع عن سيدي أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: (ثلاث من أخلاق النبوة: تعجيل الإفطار، وتأخير السحور، ووضع اليمين على الشمال في الصلاة).

عدم الاقتداء بالصالحين سفاهة وفساد رأي:

ففي مسلم عن سيدي ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا، قال: (ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب، يأخذون بسنته ،ويقتدون بأمره. ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون! فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن؛ وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل).

وفي الصحيح المسند للوادعي عن سيدي جابر رضي الله تعالى عنه يرفعه:

(أعاذك الله من إمارة السفهاء قال: وما إمارة السفهاء؟ قال: أمراء يكونون بعدي لا يقتدون بهديي، ولا يستنون بسنتي، فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فأولئك

ليسوا مني ولست منهم، ولا يردون على حوضي. ومن لم يصدقهم بكذبهم، ولم يعنهم على ظلمهم فأولئك مني وأنا منهم، وسيردون على حوضي.....).

التشبه بالآخرين فيما فيه نص شرعي مخالف، إثم وخطيئة:

ففي السلسلة الصحيحة عن جد عمرو بن شعيب رضي الله عنهم مرفوعًا، وتخريج أحاديث المشكاة بسند حسن وغيرهما، مرفوعًا:

(ليس منا من تشبه بغيرنا. لا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى؛ فإن تسليم اليهود الإشارة بالأصابع، وتسليم النصارى الإشارة بالأكف).

الاقتداء بالمصطفى صلى الله عليه وسلم وأصحابه من الدين:

في البخاري عن سيدي ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه أهلّ وقال: إن حيَل بيني وبينهُ فعلتُ كما فعَل النبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، حين حالت كُفَّار قُرَيْشٍ بينه، وتلا: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ).

وفي البخاري عن سيدي سعيد رضي الله تعالى عنهما قال: كنت أسير مع عبد الله بن عمر رضي الله عنهما بطريق مكة، فلما خشيت الصبح نزلت فأوترت، ثم لحقته، فقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أين كنت؟ فقلت: خشيت الصبح فنزلت فأوترت، فقال عبد الله: أليس لك في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة؟ فقلت: بلى والله!

قال: فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوتر على البعير!

وفي البخاري أيضًا عن أبي وائل، قال: جلستُ مع شَيْبَةَ على كرسيٍّ في الكعبة، فقال: لقد جلس هذا المجلسَ عمُر رضَي اللهُ عنهُ، فقال: لقد هممتُ ألا أَدَعَ فيها صفراءَ ولا بيضاءَ إلا قسمتُهُ.

قلتُ: إنَّ صاحِبَيْكَ لم يَفعلا!

قال: هُما الْمِرآن أَقْتَدِي بهما.

وفي البخاري أيضًا: سألنا ابن عمر رضي الله عنهما، عن رجل طاف بالبيت في عمرة، ولم يطف بين الصفا والمروة، أيأتي امرأته؟. فقال: قدم النبي صلى الله عليه وسلم فطاف بالبيت سبعًا، وصلى خلف المقام ركعتين، وطاف بين الصفا والمروة سبعًا، وقد كان لكم

في رسول الله أسوة حسنة. قال: وسألنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، فقال: لا يقربنها حتى يطوف بين الصفا والمروة.

وفي البخاري أيضًا: أراد ابن عمر رضي الله عنهما الحج، عام حجة الحرورية، في عهد ابن الزبير رضي الله عنهما، فقيل له: إن الناس كائن بينهم قتال، ونخاف أن يصدوك، فقال: {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة}. إذًا أصنع كما صنع، أشهدكم أني أوجبت عمرة، حتى كان بظاهر البيداء قال: ما شأن الحج والعمرة إلا واحد، أشهدكم أني جمعت حجة مع عمرة، وأهدي هدياً مقلَّدًا اشتراه، حتى قدم، فطاف بالبيت وبالصفا، ولم يزد على ذلك، ولم يحلل من شيء حرم منه حتى يوم النحر، فحلق ونحر، ورأى أن قد قضى طوافه، الحج والعمرة، بطوافه الأول، ثم قال: كذلك صنع النبي صلى الله عليه وسلم.

وفي البخاري أنه رضي الله عنه وأرضاه سُئِلَ عن رجلٍ نذَر ألا يأتَي عليه يومٌ إلا صام، فوافَقَ يومَ أضحًى أوفِطرٍ، فقال: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة)لم يكُنْ يصومُ يومَ الأضحَى والفطرِ، ولا يَرى صيامَهما.

وفي البخاري أنه رضي الله عنه قال: صحبت النبي صلى الله عليه وسلم، فلم أراه يسبح في السفر (يتنفل) وقال الله جل ذكره: {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة}.

وفي مسلم: صحبتُ ابنَ عمَر في طريقِ مكةَ، فصلى لنا الظهَر ركعتَين. ثم أقبل وأقبلْنا معه، حتى جاءَ رَحْلَه، وجلس وجلْسنا معه. فحانت منه التفاتةً نحوحيثُ صلَّى. فرأى ناسًا قيامًا. فقال: ما يصنع هؤلاء؟ قلتُ: يُسبِّحون. قال: لو كنتُ مسبِّحًا لأتممتُ صلاتي؛ يا ابنَ أخي!إني صحبتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في السَّفرِ، فلم يزِدْ على ركعتَين حتى قبضه اللهُ، وصحبتُ أبا بكرٍ فلم يزِدْ على ركعتَين حتى قبضه اللهُ، وصحبتُ عمَر فلم يزِدْعلى ركعتَين حتى قبضه اللهُ. ثم صحبتُ عثمانَ فلم يزِدْ على ركعتَين حتى قبضه اللهُ. وقد قال اللهُ: {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة}.

وفي البخاري عن سيدي ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: إذا حرَّم امرأتَهُ ليسَ بشيءٍ. وقال: {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة}.

ونصه في مسلم عنه رضي الله تعالى عنه: إذا حرَّم الرجلُ عليه امرأتَه فهي يمينٌ يُكفِّرها. وقال: {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة}.

وهذا حديث طويل في الاتباع أسرده كله لطرافته وحسنه، ففي مسلم عن سيدي أبي قتادة الأنصاري رضي الله تعالى عنه قال، قال لنا صلى الله عليه وسلم (أثناء سفر): إنكم تسيرون عشيَّتكم وليلتكم وتأتون الماءَ ، إن شاء اللهُ، غدًا.

فانطلق الناسُ لا يلوي أحدٌ على أحدٍ. فبينما رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يسيُر حتى ابهارالليلِ وأنا إلى جنبِه، فنعس رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ،فمال عن راحلتِه، فأتيتُه فدعمتُه، من غيرِ أن أُوقظَه،حتى اعتدلَ على راحلتِه.

ثم سار حتى تهوَر الليلُ ، فمال عن راحلتِه،فدعمتُه من غيرِ أن أُوقظَه، حتى اعتدلَ على راحلتِه.

ثم سار حتى إذا كان من آخرِ السَّحَرِ مالَ ميلةً هي أشدُّ من الميلتينِ الأوليينِ؛ حتى كاد ينجفلُ فأتيتُه فدعمتُه..

فرفع صلى الله عليه وسلم رأسَه فقال: من هذا؟ قلتُ: أبوقتادةَ .

قال صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: متى كان هذا مسيرك مني؟

قلت: ما زال هذا مسيري منذُ الليلةَ.

قال صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: حفظك اللهُ بما حفظتَ به نبيَّه، ثم قال صلى الله عليه وسلم: هل ترانا نخفى على الناسِ؟ هل ترى من أحدٍ؟

قلتُ: هذا راكبٌ. ثم قلتُ: هذا راكبٌ آخُر، حتى اجتمعنا فكنا سبعةُ ركبٍ.

فمال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم عن الطريقِ. فوضع رأسَه. ثم قال: احفظوا علينا صلاتنا..

فكان أولُ من استيقظَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، والشمسُ في ظهرِه.

فقمنا فَزِعينَ. ثم قال صلى الله عليه وسلم: اركبوا، فركبنا، فسِرْنا حتى إذا ارتفعت الشمسُ نزل، ثم دعا بميضأةٍ كانت معي فيها شيءٌ من ماءٍ، فتوضأنا منها وهنءً ا دونَ

وضوءٍ. وبقَي فيها شيءٌ من ماءٍ ثم قال صلَّى اللهُ عليه وسلَّم لي: احفظ علينا ميضأتكَ. فسيكونُ لها نبأٌ!

ثم أذنَ بلالٌ بالصلاةِ ، فصلى رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ركعتين، ثم صلى الغداةَ فصنع كما كان يصنعُ كل يومٍ.

وركب رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وركبنا مَعه، فجعل بعضنا يهمسُ إلى بعضٍ: ما كفارةُ ما صنعنا بتفريطنا في صلاتنا؟

فقال لي: أما لكم فيَّ أسوةٌ؟ ليس في النومِ تفريطٌ؛ إنما التفريطُ على من لم يُصَلِّ الصلاةَ حتى يجيءَ وقتُ الصلاةِ الأخرى فمن فعل ذلك فليُصلِّها حين ينبهُ لها، فإذا كان الغدُ فليُصلِّها عند وقتها " ثم قال قال صلى الله عليه وسلم: ما ترون الناسَ صنعوا؟

فلما أصبح الناسُ فقدوا نبيَّهم صلى الله عليه وسلم ، فقال أبو بكرٍ وعمُر: رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بعدَكم. لم يكن ليخلفَكم. وقال الناسُ: إنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم بين أيديكم، فإن يطيعوا أبا بكرٍ وعمَر يرشدوا.

فانتهينا إلى الناسِ حين امتدَّ النهارُ، وحمي كل شيءٍ. وهم يقولون: يا رسولَ اللهِ! هلكنا، عطشنا. فقال صلى الله عليه وسلم: لا هلك عليكم، أطلقوا لي غمري، ودعا بالميضأةِ . فجعل رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يصبُّ وأبوقتادةَ يسقيهم. فلم يعد أن رأى الناسُ ماءً في الميضأةِ تكأبوا عليها. فقال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: " أحسنوا الملأَ، كلكم سيروى! ففعلوا، فجعل رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يصبُّ وأسقيهم. حتى ما بقَي غيري وغيُر رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم!

ثم صبَّ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فقال صلى الله عليه وسلم لي: اشرب!

فقلتُ: لا أشربُ حتى تشربَ يا رسولَ اللهِ!

قال فقال صلى الله عليه وسلم: إنَّ ساقي القومِ آخرهم شرباً!

فشربتُ، وشرب رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فأتي الناسُ الماءَ جامِّين رواءً . اللهم صل على سيدي وسيد الأولين والآخرين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليمًا كثيرًا.

اجتهاد الصحابة رضوان الله عنهم في التشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم واتباعه:

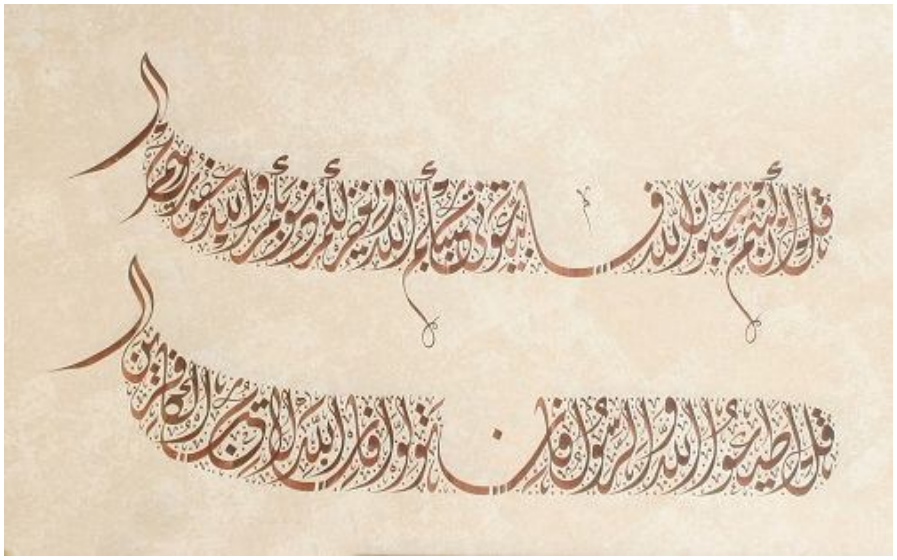

في البخاري عن سيدي أنس رضي الله تعالى عنه أنه جاء ثلاثُ رهطٍ إلى بُيوتِ أزواجِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، يَسأَلونَ عن عبادةِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، فلما أُخبِروا كأنهم تَقالُّوها، فقالوا: أين نحن مِن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قد غفَر اللهُ له ما تقدَّم من ذَنْبِه وما تأخَّر!

قال أحدُهم: أما أنا فإني أُصلِّي الليلَ أبدًا..

وقال آخَر: أنا أصومُ الدهرَ ولا أُفطِر..

وقال آخَر: أنا أعتزِلُ النساءَ فلا أتزوَّجُ أبدًا..

فجاء رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فقال: (أنتُم الذين قلتُم كذا وكذا؟ أما واللهِ إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصومُ وأُفطِر، وأُصلِّي وأرقُدُ وأتزوَّجُ النساءَ، فمَن رغِب عن سُنَّتي فليس مني).

وفي مسلم عن سيدي حذيفة رضي الله تعالى عنه قال: كان الناسُ يسألون رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم عن الخيرِ، وكنتُ أسأله عن الشرِّ مخافةَ أن يُدرِكَني.

فقلتُ: يا رسولَ اللهِ! إنا كنا في جاهليةٍ وشرٍّ فجاءَنا اللهُ بهذا الخيرِ. فهل بعد هذا الخير شرٌّ؟ قال صلى الله عليه وسلم: (نعم).

فقلتُ: هل بعد ذلك الشرِّ من خيرٍ؟

قال صلى الله عليه وسلم: (نعم. وفيه دَخَنٌ).

قلت: وما دَخَنُه؟

قال صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: (قومٌ يستنُّون بغيرِ سُنَّتي،ويَهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكُر).

فقلتُ: هل بعد ذلك الخيرِ من شرٍّ؟

قالصلَّى اللهُ عليه وسلَّم: (نعم. دُعاةٌ على أبوابِ جهنَم، من أجابهم إليها قذفوه فيها).

فقلتُ: فقلتُ: يا رسولَ اللهِ: صِفْهم لنا.

قالصلَّى اللهُ عليه وسلَّم: (نعمقومٌ من جِلدتِنا،ويتكلمون بألسنتِنا)

قلتُ: يا رسولَ اللهِ! فما ترى إن أدركني ذلك؟

قالصلَّى اللهُ عليه وسلَّم: تلزمُ جماعةَ المسلمين وإمامَهم).

فقلتُفإن لم تكن لهم جماعةٌ ولا إمامٌ ؟ قال (فاعتزلْ تلك الفرقَ كلَّها. ولو أن تَعضَّ على أصلِ شجرةٍ . حتى يدركَكَ الموتُ، وأنت على ذلك).

هنيئًا للمستمسكين المتبعين المتشبثين في أزمنة الغربة والإنكار:

ففي سنن الترمذي بسند حسن صحيح عن سيدي عمروبن عوف المزني ، مرفوعًا: (إن الدين ليأرز إلى الحجاز كما تأرز الحية إلى جحرها، وليعقلن الدين من الحجاز معقل الأروية من رأس الجبل. إن الدين بدأ غريباً ويرجع غريباً، فطوبى للغرباء؛ الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سنتي).

وفي الأمالي المطلقة لابن حجر عن سيدي ابن عمرورضي الله تعالى عنهما مرفوعًا: (لكلِّ عاملٍ شِرَّةٌ،ولكلِّ شرَّةٍ فترةٌ،فمن كانت فترتُه إلى سنَّتي فقد أفلح).

ونصه في صحيح الجامع عنه رضي الله تعالى عنه: (إن لكل عمل شرة، ولكل شرة فترة، فمن كان فترته إلى سنتي فقد اهتدى، ومن كانت إلى غير ذلك فقد هلك)

وفي صحيح سنن ابن ماجه عن سيدي العرباض بن سارية رضي الله تعالى عنه قال:

وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب. فقلنا: يا رسول الله: إن هذه لموعظة مودع؛ فماذا تعهد إلينا؟

قال صلى الله عليه وسلم: (قد تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك. من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيًرا، فعليكم بما عرفتم من سنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وعليكم بالطاعة - وإن عبدًا حبشيًّا - فإنما المؤمن كالجمل الأنف؛ حيثما قيد انقاد).

الرغبة عن سنته صلى الله عليه وسلم مروق ونشوز:

في البخاري عن سيدي أنس رضي الله تعالى عنه أنه قال: (... فَمن رِغب عن سُنَّتي فليس مني).

وفي مسلم عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: تردُ عليَّ أمتي الحوضَ، وأنا أذودُ الناسَ عنه كما يذودُ الرجلُ إبلَ الرجلِ عن إبلِه.

قالوا: يا نبيَّ الله! أتعرفُنا؟

قال صلى الله عليه وسلم: نعم؛ لكم سيما ليست لأحدٍ غيرِكم. تردون عليَّ غرًا محجّلين من آثارِ الوضوءِ. وليُصدَّن عني طائفةٌ منكم فلا يصلون. فأقولُ: يا ربِّ! هؤلاءِ من أصحابي. فيجيبني ملَكٌ فيقولُ: وهل تدري ما أحدثوا بعدك؟

متابعة الراشدين والتشبه بهم من الهدى والتوفيق:

ففي صحيح سنن ابن ماجه عن سيدي العرباض بن سارية رضي الله تعالى عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: (قد تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك. من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيًرا فعليكم بما عرفتم من سنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وعليكم بالطاعة - وإن عبدًا حبشيًّا - فإنما المؤمن كالجمل الأنف؛ حيثما قيد انقاد).

التشبه بالأعاجم في أزيائهم وعوائدهم مرفوض شرعًا..

وأورد ابن العربي رحمه الله تعالى في أحكام القرآن، عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم النهي عنِ التشبهِ بالأعاجمِ، وسنده صحيح.

التشبه المخالف للفطرة مذموم:

فالتصابي وعدم الاعتداد بالمرحلة خلل في الفطرة؛ إلا في التقوِّي والهمة؛ ففي الجامع الصغير بسند حسن، عن سادتي: عبدالله بن مسعود وواثلة بن الأسقع وأنس بن مالك وابن عباس رضي الله تعالى عنهم مرفوعًا: (خَيُر شبابِكُمَ من تشبَّهِكُهولِكم،وشرُّ كُهولِكم من تشبَّهَبشبابِكم)!

وفي الصحيح عن سيدي ابن مسعود رضي الله عنهما: لَعن رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم الُمتَشَبِّهِينَ من الرجالِ بالنساءِ والُمتَشَبِّهاتِ من النساءِ بالرجالِ.

ومثله ماورد في صحيح الجامع عن سيدي ابن عمرو رضي الله تعالى عنهما مرفوعًا:

(ليس منا من تشبه بالرجال من النساء، ولا من تشبه بالنساء من الرجال).

ومثله في الترغيب والترهيب بسند حسن، عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه لعن رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم مخنَّثي الرِّجالِ الَّذين يتشبَّهون بالنِّساءِ، والمترجِّلاتِ من النِّساءِ المتشبِّهاتِ بالرِّجالِ وراكبَ الفلاةِ وحدَه).

التشبه بالحيوان تسفل بشري:

قال الله تعالى: (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا، فانسلخ منها، فأتبعه الشيطان، فكان من الغاوين* ولوشئنا لرفعناه بها، ولكنه أخلد إلى الأرض، واتبع هواه، فمثله كمثل الكلب: إن تحمل عليه يلهث، أوتتركه يلهث؛ ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا، فاقصص القصص لعلهم يتفكرون* ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون) الأعراف:175-177.

وقال تعالى: (واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير).

وفي صحيح سنن أبي دواد عن سيدي عبد الرحمن بن شبل رضي الله تعالى عنه، قال:

نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نقرة الغراب، وافتراش السبع، وأن يوطن الرجل المكان في المسجد كما يوطن البعير.

وفي صفة الصلاة للألباني عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: نهاني خليلي صلى الله عليه وسلم أن أنقر في صلاتي نقر الديك، وأن ألتفت التفات الثعلب، وأن أقعي كإقعاء القرد!

ونصه في صحيح الترغيب عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: أوصاني خليلي بثلاث، ونهاني عن ثلاث: نهاني عن نقرة كنقرة الديك، وإقعاء كإقعاء الكلب، والتفات كالتفات الثعلب.....

التشبه بالشيطان ليس من سيما المؤمن المتبع:

ففي مسلم عن سيدي ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، مرفوعًا، قال: (إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه، وإذا شرب فليشرب بيمينه، فإن الشيطان يأكل بشماله، ويشرب بشماله)

وفي صحيح الترغيب عن سيدي أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: (ليأكل أحدكم بيمينه، وليشرب بيمينه، وليأخذ بيمينه، وليعط بيمينه؛ فإن الشيطان يأكل بشماله، ويشرب بشماله، ويعطى بشماله، ويأخذ بشماله).

وفي تخريج مشكاة المصابيح عن عطاء رحمه الله، بإسناد مرسل – وصح موصولًا – قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في المسجد، فدخل رجل ثائر الرأس واللحية، فأشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده؛ كأنه يأمره بإصلاح شعره ولحيته، ففعل، ثم رجع؛ فقال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه:

(أليس هذا خيرًا من أن يأتي أحدكم وهوثائر الرأس كأنه شيطان)؟!

النهي عن التنعم والترف، وزي أهل الشرك

ففي اقتضاء الصراط المستقيم عن سيدي عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بسند ثابت على شرط الصحيحين،عن أبي عُثمانَ، قالَ: جاءنا كتابُ عمَررضَي اللَّهُ عنه، ونحنُ بأذْربيجانَ: يا عتبةَ بنَ فَرقد: إيَّاكم والتَّنعُّم، وزيَّ أهلِ الشِّركِ، ولُبوسَ الحريرِ؛ فإنَّ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم نهانا عن لُبوسِ الحريرِ وقالَ: إلَّا هكذا، ورفَع لنا رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إصبَعيهِ.

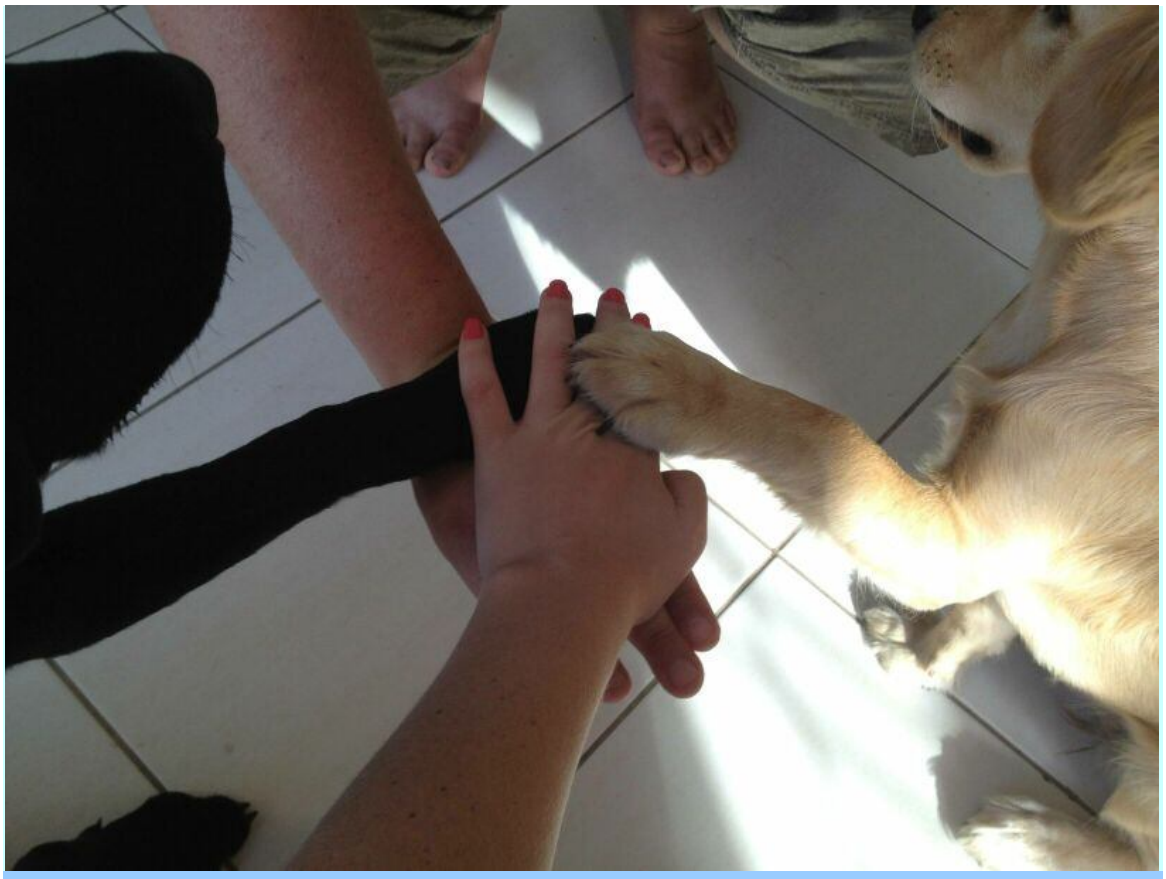

من آراء العلماء في التشبه:

أورد هنا (بعض) النقول (بنصها) عن العلماء في القديم والحديث، عن التشبه وبعض أسبابه وأحكامه..

قال: العلامة ابن خلدون في تاريخه المسمى: (العبر، وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر):

الفصل الثالث والعشرون؛ في أن المغلوب مولع أبدًا بالاقتداء بالغالب: في شعاره، وزيه، ونحلته، وسائر أحواله، وعوائده:

والسبب في ذلك أن النفس أبدًا تعتقد الكمال فيمن غلبها وانقادت إليه:

إما لنظره بالكمال، بما وقر عندها من تعظيمه..

أو لما تغالط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعي إنما هو لكمال الغالب؛ فإذا غالطت بذلك، واتصل لها حصل اعتقادًا، فانتحلت جميع مذاهب الغالب، وتشبهت، به وذلك هو الاقتداء..

أو لما تراه - والله أعلم - من أن غلب الغالب لها ليس بعصبية، ولا قوة بأس، وإنما هو بما انتحلته من العوائد والمذاهب، تغالط أيضًا بذلك عن الغلب، وهذا راجع للأول!

ولذلك ترى المغلوب يتشبه أبدًا بالغالب في: ملبسه ومركبه وسلاحه، في اتخاذها، وأشكالها، بل وفي سائر أحواله.

وانظر ذلك في الأبناء مع آبائهم: كيف تجدهم متشبهين بهم دائمًا، وما ذلك إلا لاعتقادهم الكمال فيهم.

وانظر إلى كل قطر من الأقطار: كيف يغلب على أهله زي الحامية وجند السلطان في الأكثر؛ لأنهم الغالبون لهم؛ حتى إنه إذا كانت أمة تجاور أخرى، ولها الغلب عليها، فيسري إليهم من هذا التشبه والاقتداء حظ كبير، كما هو في الأندلس لهذا العهد مع أمم الجلالقة؛ فإنك تجدهم يتشبهون بهم في ملابسهم، وشاراتهم، والكثير من عوائدهم،

وأحوالهم؛ حتى في رسم التماثيل في الجحران، والمصانع، والبيوت، حتى لقد يستشعر من ذلك الناظر بعين الحكمة أنه من علامات الاستيلاء، والأمر لله.

وتأمل في هذا سر قولهم: العامة على دين الملك؛ فإنه من بابه إذ الملك غالب لمن تحت يده، والرعية مقتدون به؛ لاعتقاد الكمال فيه اعتقاد الأبناء بآبائهم، والمتعلمين بمعلميهم. والله العليم الحكيم، وبه سبحانه وتعالى التوفيق.

وقال في رد المحتار على الدر المختار/ كتاب الصلاة/ باب ما يفسد الصلاة وما يكره فيها:

قوله: (لأن التشبه بهم لا يكره في كل شيء) فإنا نأكل ونشرب كما يفعلون - بحر عن شرح الجامع الصغير لقاضي خان - ويؤيده ما في الذخيرة قبيل كتاب التحري، قال هشام: رأيت على أبي يوسف نعلين مخصوفين بمسامير، فقلت: أترى بهذا الحديد بأسًا؟ قال لا قلت: سفيان وثور بن يزيد كرها ذلك؛ لأن فيه تشبهًا بالرهبان. فقال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس النعال التي لها شعر؛ وإنها من لباس الرهبان. فقد أشار إلى أن صورة المشابهة فيما تعلق به صلاح العباد لا يضر، فإن الأرض مما لا يمكن قطع المسافة البعيدة فيها إلا بهذا النوع. ا هـ.

وفيه إشارة أيضًا إلى أن المراد بالتشبه أصل الفعل: أي صورة المشابهة بلا قصد.

وسئل علماء اللجنة الدائمة للإفتاء عن المشابهة بالكفار المنهي عنها فأجابوا:

"المراد بمشابهة الكفار المنهي عنها: مشابهتهم فيما اختصوا به من العادات، وما ابتدعوه في الدين من عقائد وعبادات، كمشابهتهم في حلق اللحية...

أما لبس البنطلون والبدلة وأمثالهما من اللباس، فالأصل في أنواع اللباس الإباحة، لأنَّهُ من أمور العادات، قال تعالى: (قل من حرَّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق) الآية، ويستثنى من ذلك ما دلَّ الدليل الشرعي على تحريمه أو كراهته؛ كالحرير للرجال، والذي يصف العورة؛ لكونه شفافًا يُرى من ورائه لون الجلد، أو ككونه ضيقًا يحدد العورة، لأنه حينئذٍ في حكم كشفها، وكشفها لا يجوز، وكالملابس التي هي من سيما الكفار، فلا يجوز لبسها لا للرجال ولا للنساء؛ لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن

التشبه بهم، وكلبس الرجال ملابس النساء، ولبس النساء ملابس الرجال، لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال.

وليس اللباس المسمى بالبنطلون مما يختصُّ بالكفار، بل هو لباس عام في المسلمين والكافرين في كثير من البلاد والدول، وإنما تنفر النفوس من لبس ذلك في بعض البلاد لعدم الإلف، ومخالفة عادة سكانها في اللباس، وإن كان ذلك موافقًا لعادة غيرهم من المسلمين، لكن الأولى بالمسلم إذا كان في بلد لم يعتد أهلها ذلك اللباس ألاَّ يلبسه في الصلاة، ولا في المجامع العامة، ولا في الطرقات.

وفي مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى، عن مقياس التشبُّه بالكفار:

مقياس التشبه: أن يفعل المتشبِّه ما يختص به المتشبَّه به، فالتشبُّه بالكفار أن يفعَل المسلم شيئاً من خصائصهم.

أما ما انتشر بين المسلمين، وصار لا يتميز به الكفار، فإنه لا يكون تشبُّهًا، فلا يكون حرامًا من أجل أنَّه تشبّه؛ إلاَّ أن يكون محرَّمًا من جهة أخرى.

وهذا الذي قلناه هو مقتضى مدلول هذه الكلمة، وقد صرَّح بمثله صاحب "فتح الباري" حيث قال **(272/10)**: "وقد كره بعض السلف لبس البرنُس؛ لأنَّهُ كان من لباسِ الرهبانِ، وقد سئل مالكٌ عنه فقال: لا بأس به، قيل: فإنَّهُ من لبوس النصارى، قال: كان يلبس ههنا " انتهى. قلت: لو استدلَّ مالك بقول النبي صلى الله عليه وسلم حين سئل ما يلبس المحرم؟ فقال: (لا يلبس القميص ولا السراويل ولا البرانس...) لكان أولى.

وفي "الفتح" أيضًا **(307/10)**: " وإن قلنا النهي عنها (أي: عن المياثر الأرجوان) من أجل التشبُّه بالأعاجم: فهو لمصلحة دينية، لكن كان ذلك شعارهم حينئذ وهم كفار، ثم لما لم يصر الآن يختص بشعارهم زال ذلك المعنى، فتزول الكراهة، والله أعلم " انتهى.

وفي كتاب: تطريز رياض الصالحين للقاضي الحنبلي الشيخ فيصل المبارك رحمه الله تعالى (1313- 1376هـ): ومنه أنقل ما أورده في أحاديث التشبه لأهميته:

قال الحافظ (في حديث لعن المتشبهات والمتشبهين):

قال القرطبي: المعنى: لا يجوز للرجال التشبه بالنساء في لبس وزينة مختصات بهن، ولا العكس.

وقال ابن أبي جمرة: ظاهر اللفظ الزجر عن التشبيه في كل شيء، لكن عرف من أدلة أخرى أن المراد التشبه في الزي وبعض الصفات والحركات ونحوهما، إلا التشبه في أمور الخير.

واللعن: يدل على أنَّ ما ذكر من الكبائر. والحكمة في لعن من تشبه إخراجه الشيء عن الصفة التي وضعها عليه أحكم الحكماء، كما أشار إليه صلى الله عليه وسلم في لعن الواصلات بقوله صلى الله عليه وسلم:(المغيرات خلق الله) انتهى ملخصًا.

1632- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: لَعَن رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم الرجل يلبس لبسة المرأة ، والمرأة تلبس لبسة الرجل. رواه أبو داود بإسناد صحيح. فيه: وعيد شديد لمن لبس لباس المرأة تشبًها بها، وكذا عكسه.

1633- وعنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: (صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر، يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مائلات مميلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها؛ وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا) رواه مسلم.

معنى (كَاسِيَاتٌ) أَيْ: مِنْ نِعْمَةِ اللهِ (عَارِيَاتٌ) مِنْ شُكْرِهَا.

وَقِيلَ مَعْنَاهُ: تَسْتُرُ بَعْضَ بَدَنِهَا، وَتَكْشِفُ بَعْضَهُ إِظْهَارًا لِجَمَالِهَا وَنَحْوِهِ.

وَقِيلَ: تَلْبَسُ ثَوْبًا رَقِيقًا يَصِفُ لَوْنَ بَدَنِهَا. وَمَعْنَى (مَائِلَاتٌ) قِيلَ: عَنْ طَاعَةِ اللهِ وَمَا يَلْزَمُهُنَّ حِفْظُهُ (مُمِيلَاتٌ) أَيْ: يُعَلِّمْنَ غَيْرَهُنَّ فِعْلَهُنَّ الْمَذْمُومَ.

وَقِيلَ: مَائِلَاتٌ يَمْشِينَ مِشْيَةَ بَخْتِيَّاتٍ، مُمِيلَاتٌ لِأَكْتَافِهِنَّ..

وَقِيلَ: مَائِلَاتٌ يَمْتَشِطْنَ الْمِشْطَةَ الْمَيْلَاءَ: وَهِيَ مِشْطَةُ الْبَغَايَا، وَ(مُمِيلَاتٌ) يُمَشِّطْنَ غَيْرَهُنَّ تِلْكَ الْمِشْطَةَ.

(رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ) أَيْ: يُكَبِّرْنَهَا وَيُعَظِّمْنَهَا بِلَفِّ عِمَامَةٍ أَوْ عِصَابَةٍ أَوْ نَحْوِهَا.

قوله (قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس)، أي: يضربونهم ظلمًا.

(ونساء كاسيات عاريات)، أي: يسترن بعض أبدانهن ويكشفن بعضها. (مائلات مميلات)، أي: تشبهًا بالمختال من الرجال.

قال النووي: وهذا الحديث من معجزات النبوة، فقد وقع هذان الصنفان، وهما موجودان في هذا الزمان.

وقال القاضي عياض: (مائلات مميلات)، أي: مائلات إلى الرجال، مميلات، بما يبدينه من زينتهن وغيرها.

-1634عن جابر رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم (لا تأكلوا بالشمال، فإن الشيطان يأكل بالشمال) رواه مسلم.

في هذا الحديث: النهي عن الأكل بالشمال. وفيه: التصريح بأن الشيطان يأكل.

-1635وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رُسولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ :(لا يأكلن أحدكم بشماله، ولا يشربن بها؛ فإن الشيطان يأكل بشماله، ويشرب بها) رواه مسلم.

وفيه: النهي عن التشبه بالشيطان؛ فإنه لاستقذاره وخساسته يستعمل الخسيس في النفيس.

-1636 و عن أَبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رُسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ :(إن اليهود والنصارى لا يصبغون؛ فخالفوهم) . متفق عَلَيه

الْمُرَادُ:خِضَابُ شَعْرِ اللِّحْيَةِ والرَّأسِ الأَبْيَضِ بِصُفْرَةٍ أَو حُمْرَةٍ ؛ وأَمَّا السَّوَادُ فَمَنْهِيٌّ عَنْهُ كَمَا سَنَذْكُرُهُ في البَابِ بَعْدَهُ ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.

فيه: استحباب صبغ الشعر، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يصبغ شعره بالحناء والكتم.

-1637 عن جابر رضي الله عنه قَالَ: أُتِيَ بأبي قحافة والد أبي بكر الصديق رضي الله عنهما يوم فتح مكة، ورأسه ولحيته كالثغامة بياضًا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (غيروا هذا واجتنبوا السواد) رواه مسلم. في هذا الحديث: الأمر بتغير الشيب بالصبغ واجتناب السواد.

وقال البخاري: باب الخضاب. وذكر حديث أبي هريرة.

قال الحافظ: الخضاب: تغيير لون مشيب الرأس واللحية. ولأحمد بسند حسن عن أبي أمامة قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على مشيخة من الأنصار بيضٌ لحاهم، فقال :(يا معشر الأنصار، حمِّروا وصفِّروا، وخالفوا أهل الكتاب) إلى أن قال: (والأولى كراهة الصبغ بالسواد) ومنهم من فرق في ذلك بين الرجل والمرأة، فأجازه لها دون الرجل. يعني إذا لم تدلس به.

-1638 عن ابن عمر رضي الله عنهما قَالَ: نَهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القَزعِ. متفق عَلَيه.

-1639وعنه قَالَ: رأَى رسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم صبيًّا قد حلق بعض رأسه، وترك بعضه، فنهاهم عن ذلك، وقال: (احلقوه كله، أو اتركوه كله) .رواه أبو داود بإسناد صحيح عَلَى شرط البخاري ومسلم.

قال النووي: وقد أجمع العلماء على كراهة القزع، إلا أنْ يكون لمداواة ونحوها.

قال الحافظ: واختلف في علة النهي، فقيل: لكونه يشوه الخلقة. وقيل لأنه زي الشيطان. وقيل: لأنه زي اليهود. وقد جاء هذا في رواية لأبي داود.

1641 وعن عليٍّ رضي الله عنه قَالَ: نَهى رسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم أن تحلق المرأة رأسها . رواه النسائي. في هذا الحديث: النهي عن حلق شعر رأس المرأة، ما لم تدع إليه حاجة.

وعن موضة العصر بالتشبه بالكفار والفجار كتب الشيخ محمد الحمود النجدي

قد دلت الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة على حرمة التشبه بالكفار، من أهل الكتاب والمشركين، وكذلك حرمة التشبه بالفسقة والشياطين وغيرهم.

وأوصانا الله سبحانه بالتمسك بديننا الحنيف، من قرآن كريم، وسنة نبوية، وهدي مستقيم، فقال الله سبحانه: (اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلًا

ما تذكرون) الأعراف:3، أي: اتبعوا كتاب ربكم الذي أنزله لكم، ليربيكم به أحسن التربية، ويهديكم به الهداية التامة.

وقال سبحانه (صبغة الله؛ ومن أحسن من الله صبغة، ونحن له عابدون) (البقرة: 138). أي: الزموا صبغة الله؛ أي دينه وشريعته، وقوموا به ظاهًرا وباطناً، في العقيدة والشريعة، حتى تكون لكم صفاتكم الخاصة بكم، وأحوالكم الخاصة بكم.

وقال سبحانه: (ثم جعلناك على شريعة من الأمر، فاتبعها، ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون* إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً؛ وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض، والله ولي المتقين) (الجاثية: 18). أي: شرعنا لك شريعة كاملة، تدعوك إلى كل خير، وتنهاك عن كل شر، مما فيه السعادة في الدنيا والآخرة.

وأما من السنة: فَعْن ابْنِ عُمَر رضي الله عنهما قَالَ: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من تشبه بقوم فهو منهم) رواه أبو داود في اللباس، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

قَالَ الْمُنَاوِيُّ: أَي: تَزيَّا فِي ظَاهِره بِزِيِّهِمْ وَسَار بِسِيرَتِهِم وَهَديهم فِي مَلْبَسهم، وَبَعْض أَفْعَالهم..

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه: اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم: وقد احتج الإمام أحمد وغيره بهذا الحديث، وهذا الحديث أقل أحواله أن يقتضي تحريم التشبه بهم، كما في قوله: (ومن يتولهم منكم فإنه منهم) وهو نظير قول عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: (من بنى بأرض المشركين، وصنع نيروزهم، ومهرجانهم، وتشبه بهم حتى يموت، حشر معهم يوم القيامة) فقد يحمل هذا على التشبه المطلق؛ فإنه يوجب الكفر، ويقتضي تحريم أبعاض ذلك، وقد يحمل على أنه منهم في

القدر المشترك الذي يشابههم فيه، فإن كان كفرًا أو معصية أو شعارًا لها كان حكمه كذلك.

وقد روي عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم: نهى عن التشبه بالأعاجم ، وقال: (من تشبه بقوم فهو منهم) وذكره القاضي أبو يعلى. وبهذا احتج غير واحد من العلماء على كراهة أشياء من زي غير المسلمين. اه.

ثم إن التشبه بالغير فعل المغلوب والمهزوم نفسيًّا، كما قال ابن خلدون: "المغلوب مولع أبدًا بالاقتداء بالغالب في شعاره، وزيه، ونحلته، وسائر أحواله وعوائده، والسبب في ذلك: أن النفس تعتقد الكمال أبدًا في من غلبها، وانقادت إليه. قال:... ولذلك ترى المغلوب يتشبه أبدًا بالغالب" .

* المشابهة في الظاهر تورث المشابهة في الباطن

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "إن المشابهة في الظاهر تورث نوع مودة ومحبة، وموالاة في الباطن، كما أن المحبة في الباطن تورث المشابهة في الظاهر، وهذا أمر يشهد به الحس والتجربة، حتى إن الرجلين إذا كانا من بلد واحد، ثم اجتمعا في دار غربة، كان بينهما من المودة والائتلاف أمر عظيم، وإن كانا في مصرهما لم يكونا متعارفين، أو كانا متهاجرين.

بل لو اجتمع رجلان في سفر، أو بلد غريب، وكانت بينهما مشابهة في العمامة، أو الثياب، أو الشعر، أو المركوب، ونحو ذلك، لكان بينهما من ائتلاف أكثر مما بين غيرهما...." فهذا يبين أن التشبه بالكفار أو الفجار، يورث عند المسلم نوع مودة ومحبة لهم، أو هي على الأقل مظنة المحبة والمودة ولو مستقبلا.

وكذلك التشبه بالفساق والمنحرفين من الناس، من الممثلين والممثلات، والمغنين والمغنيات والتشبه بالمخنثين وغيرهم، في اللباس وغيره محرم، للأدلة السابقة، ولقوله

سبحانه: (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها، ففسقوا فيها، فحق عليها القول، فدمرنها تدميرًا) الإسراء: 16.

ولقوله عز وجل (وإذا قلنا للملائكة: اسجدوا لآدم، فسجدوا؛ إلا إبليس كان من الجن، ففسق عن أمر ربه، أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو!؟ بئس للظالمين بدلًا) (الكهف: 50). أي: تتخذون الفاسقين بدلًا عني وعن طاعتي، واتباع رسلي، وما جاؤوا به من ديني، بئس للظالمين هذا البدل، وهذا المقام الذي اختاروه لأنفسهم.

فالدلالة من الآيات جميعًا: أنها تنهى عن الفسق وموالاة أهله، وتبين عاقبته ومصير أهله، كما تنهى عن مشابهة أهل الفسق والعصيان والغفلة عن الله تعالى.

والفاسق اصطلاحًا: هو الخارج عن الطاعة، وعن طريق الحق والدين، وأصله: الخروج عن الاستقامة، بارتكاب الكبائر، والإصرار على الصغائر.

وإنما نهى الشارع عن مشابهة الفسقة وأشباههم، لأمرين:

الأول: لأن التشبه بهم قد يفضي بالمسلم إلى الإعجاب بما هم عليه من منكرات وعصيان، ومن ثم الوقوع في فعلهم، وهذا أمر مشاهد في واقع الناس، فالمتشبهون بالفساق والمغنين آل بهم الأمر إلى شدة حبهم، والولع بما هم عليه من طباع وأخلاق، حتى إن بعضهم حمل صورهم، وعلقها على ثيابه، وتشبه بهم في اللباس والشكل، والهيئة والشعر.

الثاني: ولأن المسلم إذا لبس لباس الفساق، وتشبه بهم في هيئتهم، فقد وضع نفسه موضع التهمة والريبة، فيظن من لا يعرفه أنه منهم، يظنه من الفساق والمنحرفين، والمسلم مطالب بصون عرضه، والبعد عن مواطن الريب والتهم، ومن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات كان كالراعي حول الحمى، يوشك أن يقع فيه.

فإذا كان لأهل الفسق والمجون لباس معين، أوزي خاص، أوهيئة ما عرفًا، حرم على المسلم والمسلمة فعلها، والتشبه بهم فيها. وهذا مداره على الأعراف، والأزمنة والأمكنة.

*ومن أسباب التشبه: الجهل: ولا شك أن من أعظم أسباب التشبه الممنوع: الجهل بأحكام الدين، والبعد عن تعلم أحكام الإسلام، فهو المصيبة العظمى، والبلية الكبرى وراء الوقوع في التشبه بشتى ألوانه، ثم عدم الحرص على تطبيقها في الحياة.

*ومن أسباب التشبه: ضعف التربية والتوجيه للأجيال المسلمة في مجتمعات المسلمين، إذ إن التربية والتعليم هما الدعامتان الأساسيتان لإعداد الأجيال، وصلاح الشعوب، وحين كانت الأمة المسلمة تربي أبناءها وأجيالها قروناً، على الدين والخلق والفضيلة والشرف والعفاف، والاعتزاز بالشخصية المسلمة.

وختامًا: لا بد من الإشارة إلى أمرين هامين:

1 - أنه لا يشترط في التشبه النية والقصد، فالتشبه يعم من فعل ذلك الشيء لأجل أنهم فعلوه، ومن فعله لغرض آخر، ولوكان للتزين، فالمراد بالتشبه أصل الفعل، أي صورة المشابهة ولو بلا قصد، ويدل لذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " غيروا الشيب، ولا تشبهوا باليهود" رواه أحمد والترمذي. وهو دليل على أن التشبه بهم يحصل – ولو بغير قصد منَّا ولا فعل - بل بمجرد ترك تغيير ما خُلق فينا، وهذا أبلغ من الموافقة الفعلية الاتفاقية.

2 - ما كان في الأصل مأخوذًا عن الكفار، ويفعلونه، ولكنه لا يدخل في الأديان والشرائع، فهذا ليس فيه محذور المشابهة إذا فعلناه.

فلا يدخل تحت التشبه الاستفادة مما عند الكفار من الصناعات، والعلوم ونحوها، إذ إنها ليست من خصوصيات الكفار، لأنها إمكانيات بشرية، تتوفر بالعلم والعمل عند من يحرص عليها وينميها، ويجدُّ في تحصيلها سواء كان مسلًما أو كافًرا. والله تعالى أعلم.

Cesar

نظرات للإمام ابن تيمية في التشبه والمشابهة

في كتابه: اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم

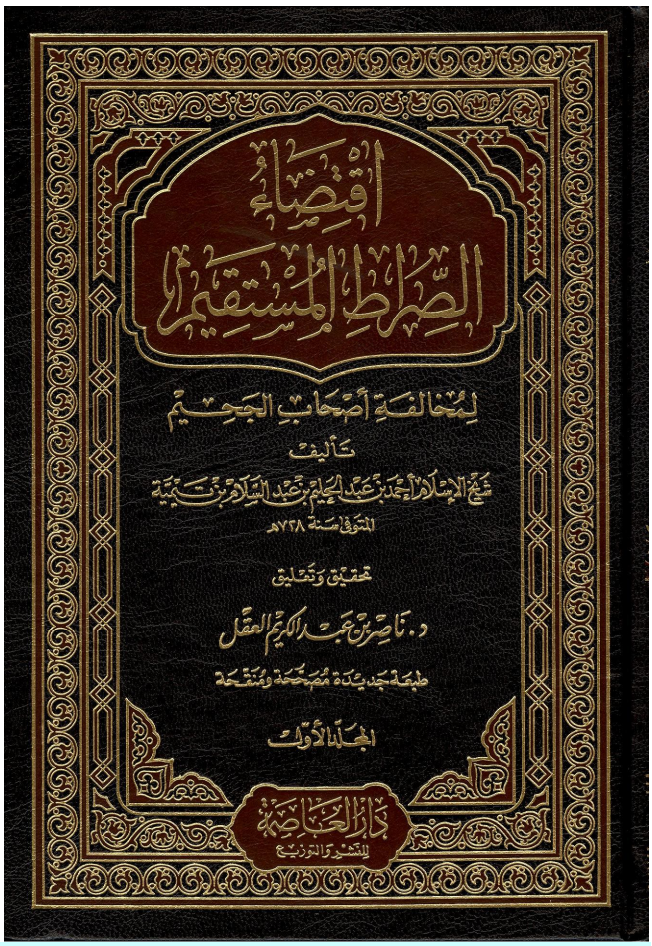

أزعم أن شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية عليه رحمات الله، كان من أوفر الناس بصيرة، وأوسعهم استشرافًا للأمور، وأعظمهم توفيقًا، وأكثرهم (معاصرة) لواقعنا؛ حتى إنني أظنه في بعض الأحيان كأنما يعيش زماننا هذا ونوازله!

وقد تكلم رحمه الله عن قضية المشابهة؛ ما يرد منها وما يقبل، ما يشرع وما يمنع، وأقبس هنا قبسات من كتابه الشهير: اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، لأهميته في هذا الباب، وهو كتاب لا يستغني عنه طالب الحق، مع يقيني أنه لو عاش عصرنا الذي ندفع فيه الجزية، ونعطي الدنية من ديننا وأخلاقنا وأعراضنا، ونتلذذ بحالة الاستضعاف والسقوط التي نحياها، لكن له آراء جديدة ومنيرة.. ومنها:

من حقوق الله ربي تبارك وتعالى على عباده:

في الصحيحين "عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت ردف النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي: يا معاذ، أتدري ما حق الله على عباده؟ قلت الله ورسوله أعلم.

قال صلى الله عليه وسلم: حقه عليهم: أن يعبدوه لا يشركوا به شيئاً.

يا معاذ، أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟ قلت: الله ورسوله أعلم.

قال صلى الله عليه وسلم: حقهم عليه ألا يعذبهم".

من حقوق سيدي المصطفى صلى الله عليه وسلم:

وسيدي الرسول صلى الله عليه وسلم يطاع ويحب ويرضى، ويسلم إليه حكمه، ويعزر ويوقر ويتبع، ويؤمن به وبما جاء به، قال تعالى: {وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله} النساء:64، وقال تعالى: {من يطع الرسول فقد أطاع الله} النساء:80، وقال تعالى: {قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها، وتجارة تخشون كسادها، ومساكن ترضونها، أحب إليكم من الله ورسوله، وجهاد في سبيله، فتربصوا حتى يأتي الله بأمره} التوبة:24. وقال تعالى: {والله ورسوله أحق أن يرضوه} التوبة:62،

وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله. ومن يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار" وقال: "والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين".

مقتضى الإسلام:

وقد فسر إسلام الوجه لله بما يتضمن إخلاص قصده لله وهو محسن، بالعمل الصالح المأمور به، وهذان الأصلان جماع الدين: ألا نعبد إلا الله تبارك وتعالى، وأن نعبده بما شرع، لا نعبده بالبدع.

ولفظ الإسلام: يتضمن الاستسلام والانقياد، ويتضمن الإخلاص من قوله تعالى: {ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلَما لرجل} الزمر:29، فلا بد في الإسلام من الاستسلام لله وحده، وترك الاستسلام لما سواه، وهذا حقيقة قولنا: لا إله إلا الله؛ فمن استسلم لله ولغيره فهو مشرك، والله لا يغفر أن يشرك به، ومن لم يستسلم له فهو مستكبر عن عبادته، وقد قال تعالى: {وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين}. غافر:60.

أصل الأعمال:

الأصل الذي بنى الإمام أحمد وغيره من الأئمة عليه مذاهبهم أن أعمال الخلق تنقسم إلى:

***عبادات يتخذونها ديناً، ينتفعون بها في الآخرة، أو في الدنيا والآخرة.**

***وإلى عادات ينتفعون بها في معايشهم.**

فالأصل في العبادات: ألا يشرع منها إلا ما شرعه الله.

والأصل في العادات: ألا يحظر منها إلا ما حظره الله.

علاقة الظاهر بالباطن:

الأمور الباطنة والظاهرة بينهما ارتباط ومناسبة، فإن ما يقوم بالقلب من الشعور والحال يوجب أمورًا ظاهرة، وما يقوم بالظاهر من سائر الأعمال، يوجب للقلب شعورًا وأحوالًا.

المشاركة في الهدي الظاهر:

لا بأس بالمشاركة في الهدي الظاهر؛ إذا لم يكن ذلك الهدى الظاهر إلا مباحًا محضًا لو تجرد عن مشابهتهم؛

فأما إن كان من موجبات كفرهم كان شعبة من شعب الكفر، فموافقتهم فيه موافقة في نوع من أنواع معاصيهم.

المشاركة في الهدي الظاهر تورث تناسباً وتشاكلًا بين المتشابهين، يقود إلى موافقة ما في الأخلاق والأعمال، وهذا أمر محسوس، فإن اللابس ثياب أهل العلم يجد من نفسه نوع انضمام إليهم، واللابس لثياب الجند المقاتلة - مثلًا - يجد من نفسه نوع تخلق بأخلاقهم، ويصير طبعه متقاضياً لذلك، إلا أن يمنعه مانع.

مشاركتهم في الهدي الظاهر، توجب الاختلاط الظاهر، حتى يرتفع التميز ظاهرًا، بين المهديين المرضيين، وبين المغضوب عليهم والضالين، إلى غير ذلك من الأسباب الحكمية.

ما نفع المشابهة!؟

إن نفس ما هم عليه من الهدْي والخلق قد يكون مضرًّا أو منقصًا، فينهى عنه، ويؤمر بضده لما فيه من المنفعة والكمال، وليس شيء من أمورهم إلا وهو إما مضر أو ناقص، لأن ما بأيديهم من الأعمال المبتدعة والمنسوخة ونحوها مضرة، وما بأيديهم مما لم ينسخ أصله فهو يقبل الزيادة والنقص، فمخالفتهم فيه بأن يشرع ما يحصله على وجه الكمال، ولا يتصور أن يكون شيء من أمورهم كاملًا قط.

فإذًا المخالفة لهم فيها منفعة وصلاح لنا في كل أمورهم، حتى ما هم عليه من إتقان بعض أمور دنياهم قد يكون مضرًا بأمر الآخرة، أو بما هو أهم منه من أمر الدنيا، فالمخالفة فيه صلاح لنا.

التفاعل الطبيعي بين الكائنات:

إن الله تعالى جَعَل بني آدم، بل سائر المخلوقات على التفاعل بين الشيئين المتشابهين، وكلما كانت المشابهة أكثر كان التفاعل في الأخلاق والصفات أتم، حتى يؤول الأمر إلى ألا يتميز أحدهما عن الآخر إلا بالعين فقط.

ولما كان بين الإنسان وبين الإنسان مشاركة في الجنس الخاص كان التفاعل فيه أشد، ثم بينه وبين سائر الحيوان مشاركة في الجنس المتوسط، فلا بدّ من نوع تفاعل بقدره، ثم بينه وبين النبات مشاركة في الجنس البعيد مثلًا، فلا بد من نوع ما من المفاعلة، ولأجل هذا الأصل وقع التأثر والتأثير في بني آدم، واكتساب بعضهم أخلاق بعض بالمعاشرة والمشاكلة...

إنهم يريدون الموافقة ويفرحون بها:

يفرح الكافرون بموافقة المسلمين في بعض أمورهم، ويسرون به، ويودون أن لو بذلوا عظيمًا ليحصل ذلك، ولو فرض أن ليس الفعل من اتباع أهوائهم فلا ريب أن مخالفتهم في ذلك أحسم لمادة متابعتهم، وأعون على حصول مرضاة الله في تركها، وأن موافقتهم في ذلك قد تكون ذريعة إلى موافقتهم في غيره، فإن (من حام حول الحمى أوشك أن يواقعه) وأي الأمرين كان، حصل المقصود في الجملة، وإن كان الأول أظهر.

التميز كان في شرع من قبلنا:

قال سبحانه لموسى وهارون: {فاستقيما، ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون} وقال سبحانه: {وقال موسى لأخيه هارون: اخلفني في قومي، وأصلح، ولا تتبع سبيل المفسدين} وقال تعالى: {ومن يشاقق الرسول، من بعد ما تبين له الهدى، ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى، ونصله جهنم} إلى غير ذلك من الآيات.

وما هم عليه من الهدي والعمل، هو من سبيل غير المؤمنين، بل ومن سبيل المفسدين، والذين لا يعلمون، وما يقدر عدم اندراجه في العموم، فالنهي ثابت عن جنسه، فيكون مفارقة الجنس بالكلية أقرب إلى ترك المنهي، ومقاربته مظنة وقوع المنهي عنه، قال سبحانه: {وأنزلنا إليك الكتاب بالحق، مصدقًا لما بين يديه من الكتاب، ومهيمناً عليه، فاحكم بينهم بما أنزل الله، ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق، لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجًا، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة؛ ولكن ليبلوكم في ما آتاكم، فاستبقوا الخيرات، إلى الله مرجعكم جميعًا، فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون} إلى قوله: {ولا تتبع أهواءهم، واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك} ومتابعتهم في هديهم، هي من اتباع ما يهوونه، أو مظنة لاتباع ما يهوونه، وتركها معونة على ترك ذلك، وحسم لمادة متابعتهم فيما يهوونه.

وهو من أصول الأديان:

من أصل دروس دين الله وشرائعه، وظهور الكفر والمعاصي - التشبه بالكافرين، كما أن من أصل كل خير: المحافظة على سنن الأنبياء وشرائعهم، ولهذا عظم وقع البدع في الدين، وإن لم يكن فيها تشبهه بالكفار، فكيف إذا جمعت الوصفين؟

إجماع المسلمين:

إجماع المسلمين على التمييز عن الكفار ظاهرًا، وترك التشبه بهم، ولقد كان أمراء الهدى، مثل العمرين، وغيرهما - يبالغون في تحقيق ذلك بما يتم به المقصود.

المخالفة للكافرين مصلحة:

....أن نفس المخالفة لهم في الهدي الظاهر مصلحة ومنفعة لعباد الله المؤمنين، لما في مخالفتهم من المجانبة والمباينة، التي توجب المباعدة عن أعمال أهل الجحيم، وإنما يظهر بعض المصلحة في ذلك لمن تنور قلبه، حتى رأى ما اتصف به المغضوب عليهم، والضالون، من المرض الذي ضرره أشد من ضرر أمراض الأبدان.

وأن نفس ما هم عليه من الهدي، والخلق، قد يكون مضرًّا، أو منقصًا، فينهى عنه، ويؤمر بضده، لما فيه من المنفعة والكمال وليس شيء من أمورهم، إلا وهو إما مضر، أو ناقص؛ لأن ما بأيديهم من الأعمال المبتدعة والمنسوخة، ونحوها، مضرة، وما بأيديهم - مما لم ينسخ أصله - فهو يقبل الزيادة والنقص، فمخالفتهم فيه: بأن يشرع ما يحصله على وجه الكمال، ولا يتصور أن يكون شيء من أمورهم كاملًا قط، فإذًا المخالفة لهم فيها، منفعة وصلاح لنا في كل أمورهم..

حتى في الدنيا:

.....حتى ما هم عليه من إتقان بعض أمور دنياهم، قد يكون مضرًّا بأمر الآخرة، أو بما هو أهم منه من أمر الدنيا، فالمخالفة فيه صلاح لنا.

تحريم التشبه:

تحريم التشبه بهم، وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم، كما في قوله: {ومن يتولهم منكم فإنه منهم} وهو نظير ما سنذكره، عن عبد الله بن عمرو أنه قال: (من بنى بأرض المشركين، وصنع نيروزهم، ومهرجانهم، وتشبه بهم حتى يموت حشر معهم يوم القيامة).

أقسام أعمالهم:

أعمالهم ثلاثة أقسام:

- قسم مشروع في ديننا، مع كونه كان مشروعًا لهم، أو لا يعلم أنه كان مشروعًا لهم لكنهم يفعلونه الآن.
- وقسم كان مشروعًا ثم نسخه شرع القرآن.
- وقسم لم يكن مشروعًا بحال، وإنما هم أحدثوه.

وهذه الأقسام الثلاثة إما أن تكون في العبادات المحضة..

وإما أن تكون في العادات المحضة، وهي الآداب..

وإما أن تجمع العبادات والعادات.

والقسم الأول: وهو ما كان مشروعًا في الشريعتين، أو ما كان مشروعًا لنا وهو يفعلونه، فهذا كصوم عاشوراء، أو كأصل الصلاة والصيام، فهنا تقع المخالفة في صفة ذلك العمل.

والقسم الثاني: ما كان مشروعًا ثم نسخ بالكلية: كالسبت، أو إيجاب صلاة أو صوم، ولا يخفى النهي عن موافقتهم في هذا، سواء كان واجباً عليهم، فيكون عبادة، أو محرمًا عليهم، فيتعلق بالعادات

القسم الثالث: وهو ما أحدثوه من العبادات أو العادات، أو كليهما: فهو أقبح وأقبح، فإنه إن أحدثه المسلمون لقد كان يكون قبيحًا، فكيف إذا كان مما لم يشرعه نبي قط؟ بل أحدثه الكافرون، فالموافقة فيه ظاهرة القبح، فهذا أصل.

الحكم في دار الإسلام غيرها في غيرها:

لو أنّ المسلم بدار حرب، أو دار كفر غير حرب، لم يكن مأمورا بالمخالفة لهم (للكفّار) في الهدي الظّاهر، لما عليه في ذلك من الضّرر؛ بل قد يستحبّ للرّجل، أو يجب عليه أنيشاركهم أحيانا في هديهم الظّاهر، إذا كان في ذلك مصلحة دينيّة، من دعوتهم إلى الدّين، والاطّلاع على باطن أمورهم لإخبار المسلمين بذلك، أو دفع ضررهم عن المسلمين، ونحو ذلك من المقاصد الحسنة؛ فأمّا في دار الإسلام والهجرة الّتي أعزّ اللّه فيها دينه، وجعل على الكافرين فيها الصّغار والجزية ففيها شرعت المخالفة.

مما يفُعل في الأعياد:

مما يفعلونه في عيدهم: ما هو كفر، وما هو حرام، وما هو مباح لو تجرد عن مفسدة المشابهة..

ثم التمييز بين هذا وهذا يظهر غالباً، وقد يخفى على كثير من العامة، فالمشابهة فيما لم يظهر تحريمه للعالم، يوقع العامي في أن يشابههم فيما هو حرام، وهذا هو الواقع.

السبت والأحد بلاء الأمة:

تقرير مخالفة أهل الكتاب في يومي السبت والأحد: الوجه السابع من السنة: ما روى كريب مولى ابن عباس رضي الله عنهما قال: أرسلني ابن عباس وناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى أم سلمة رضي الله عنها، أسألها: أي الأيام كان النبي صلى الله عليه وسلم أكثرها صيامًا؟ قالت: كان يصوم يوم السبت، ويوم الأحد، أكثر ما يصوم من الأيام، ويقول: (إنهما يوما عيد للمشركين فأنا أحب أن أخالفهم!) رواه أحمد والنسائي وابن أبي عاصم. وهو محفوظ من حديث عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى...

قبول الهدية من أهل الذمة يوم عيدهم:

وأما قبول الهدية منهم يوم عيدهم: فقد قدمنا عن علي رضي الله عنه: أنه أتي بهدية النيروز فقبلها.

وروى ابن أبي شيبة في المصنف: حدثنا جرير، عن قابوس عن أبيه: "أن امرأة سألت عائشة، قالت: إن لنا أظآرمن المجوس، وإنه يكون لهم العيد فيهدون لنا. قالت: أما ما ذبح لذلك اليوم فلا تأكلوا، ولكن كلوا من أشجارهم".

وقال: حدثنا وكيع، عن الحسن بن حكيم عن أمه، عن أبي برزة: أنه كان له سكان مجوس، فكانوا يهدون له في النيروز والمهرجان، فكان يقول لأهله: ما كان من فاكهة فكلوه، وما كان من غير ذلك فردوه.

فهذا كله يدل على أنه لا تأثير للعيد في المنع من قبول هديتهم، بل حكمها في العيد وغيره سواء؛ لأنه ليس في ذلك إعانة لهم على شعائر كفرهم.

وإنما يجوز أن يؤكل من طعام أهل الكتاب في عيدهم، بابتياع أو هدية، أو غير ذلك مما لم يذبحوه للعيد. فأما ذبائح المجوس فالحكم فيها معلوم، فإنها حرام عند العامة.

فأما ما ذبحه أهل الكتاب لأعيادهم، وما يتقربون بذبحه إلى غير الله نظير ما يذبح المسلمون هداياهم، وضحاياهم متقربين بها إلى الله تعالى. وذلك مثل: ما يذبحون للمسيح والزهرة - فعن أحمد روايتان: أشهرهما في نصوصه: أنه لا يباح أكله، وإن لم يسم عليه غير الله تعالى.

ونقل النهي عن ذلك، عن عائشة وعبد الله بن عمر.

مفاسد البدع راجحة:

لو قدر أن في بعض البدع شيئًا من المنافع فإن فيها مفاسد راجحة:

وأقول: إن إثمها قد يزول عن بعض الأشخاص لمعارض لاجتهاد أو غيره، كما يزول إثم النبيذ والربا المختلف فيهما عن المجتهدين من السلف..

ثم مع ذلك يجب بيان حالها، وألا يقتدى بمن استحلها، وألا يقصر في طلب العلم المبين لحقيقتها.

وهذا الدليل كاف في بيان أن هذه البدع مشتملة على مفاسد اعتقادية، أو حالية مناقضة لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن ما فيها من المنفعة مرجوح لا يصلح للمعارضة!

ثم يقال على سبيل التفصيل: إذا فعلها قوم ذوو فضل ودين فقد تركها في زمان هؤلاء، معتقدًا لكراهتها، وأنكرها قوم؛ إن لم يكونوا أفضل ممن فعلها، فليسوا دونهم.

ولو كانوا دونهم في الفضل فقد تنازع فيها أولو الأمر، فترد إلى الله تعالى وعز وجل والرسول صلى الله عليه وسلم، وكتاب الله وسنة رسوله مع من كرهها، لا مع من رخص فيها. ثم عامة المتقدمين، الذين هم أفضل من المتأخرين، مع هؤلاء!

وأما ما فيها من المنفعة، فيعارضه ما فيها من مفاسد البدع الراجحة. منها: مع ما تقدم من المفسدة الاعتقادية والحالية - أن القلوب تستعذبها، وتستغني بها عن كثير من السنن، حتى تجد كثيرًا من العامة يحافظ عليها، ما لا يحافظ على التراويح والصلوات الخمس!

ومنها: أن الخاصة والعامة، تنقص بسببها عنايتهم بالفرائض والسنن، ورغبتهم فيها، فتجد الرجل يجتهد فيها، ويخلص وينيب، ويفعل فيها ما لا يفعله في الفرائض والسنن، حتى كأنه يفعل هذه عبادة، ويفعل الفرائض والسنن عادة ووظيفة، وهذا عكس الدين، فيفوته بذلك ما في الفرائض والسنن من المغفرة والرحمة والرقة والطهارة والخشوع، وإجابة الدعوة، وحلاوة المناجاة، إلى غير ذلك من الفوائد. وإن لم يفته هذا كله، فلابد أن يفوته كماله!

ومنها: ما في ذلك من مصير المعروف منكَرا، والمنكر معروفًا. وجهالة أكثر الناس بدين المرسلين، وانتشاء زرع الجاهلية.

ومنها: اشتمالها على أنواع من المكروهات في الشريعة والمفاسد التي لا يدركها إلا من استنارت بصيرته، وسلمت سريرته!

ومنها: مسارقة الطبع إلى الانحلال من ربقة الاتباع، وفوات سلوك الصراط المستقيم، وذلك أن النفس فيها نوع من الكبر، فتحب أن تخرج من العبودية والاتباع بحسب الإمكان، كما قال أبو عثمان النيسابوري رحمه الله: (ما ترك أحد شيئاً من السنة إلا لكبر في نفسه) ثم هذا مظنة لغيره، فينسلخ القلب عن حقيقة اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم، ويصير فيه من الكبر وضعف الإيمان ما يفسد عليه دينه، أو يكاد، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا!

ومنها: ما تقدم التنبيه عليه في أعياد أهل الكتاب من المفاسد التي توجد في كلا النوعين المحدثين، النوع الذي فيه مشابهة، والنوع الذي لا مشابهة فيه!

أكبر شجرة في عيد قداس المسيح (الكريسماس) كانت شرقي جزيرة العرب!!!!

كلام فقهاء المذاهب الأقدمين في حكم التشبه:

لاحظت فيما قرأت أن الفقهاء الأقدمين أبصر ألف مرة، وأرحم، وأكثر التماسًا للأعذار من الفقهاء المعاصرين، الذين يصكون فتاوى مرعبة، ليس فيها إلا التكفير، وتعظيم أمر المشابهة، دون التفريق بين قاصد، أو متأول، أو جاهل، أو معذور، ودون نظر لمشابهة كبيرة أو صغيرة، وموالاة وتقليد أعمى..

لذلك أرتعب كل عام حين أرى أوراقًا مطبوعة تملأ الجدران، وحوائط المساجد، والمواقع الإلكترونية، لا تتضمن غير التغليظ والتكفير، والذم المتطرف لمن وقع في شيء من المحاذير..

ولم يكن لي بد من التنقيب في كلام السادة الفقهاء؛ لأصل إلى شيء مقنع، يمكن أن يضيفه هذا البحث، إن شاء الله تبارك وتعالى..

ولقد أعثرني الله تبارك وتعالى في أثناء تنقيبي في الجزء الثاني عشر من الموسوعة الفقهية الشاملة التي أصدرتها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية على بحث فقهي معمق وبديع عن التشبه بالكفار، ألخصه هنا بأخصر ما أستطيع، وأحيل القارئ الكريم عليه لأهميته وثرائه، وسأجعل الأمر أشبه بالعناوين الكلية للقارئ العجلان، فأما من أراد البحث المعمق فليرجع إلى الأصل:

أولًا: التشبه بالكفار في اللباس:

ذهب الحنفية على الصحيح والمالكية على المذهب،وجمهور الشافعية إلى أن التشبه بالكفار في اللباس - الذي هو شعار لهم به يتميزون عن المسلمين - يحكم بكفر فاعله ظاهرًا، أي في أحكام الدنيا، فمن وضع قلنسوة المجوس على رأسه يكفر..

إلا إذا فعله لضرورة الإكراه، أو لدفع الحر أو البرد.وكذا إذا لبس زنار النصارى؛ إلا إذا فعل ذلك خديعة في الحرب، وطليعة للمسلمين، أو نحو ذلك.. فلو علم أنه شد الزنار لا لاعتقاد حقيقة الكفر، بل لدخول دار الحرب لتخليص الأسارى مثلاً لم يحكم بكفره.

ويرى الحنفيّة في قول - وهو ما يؤخذ ممّا ذكو ابن الشّاطّ من المالكيّة – أن:

من يتشبّه بالكافر في الملبوس الخاصّ به لا يعتبر كافرًا، إلا أن يعتقد معتقدهم، لأنّه موحّد بلسانه مصدّق بجنانه. وقد قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله: لا يخرج أحد من الإيمان إلّا من الباب الّذي دخل فيه، والدّخول بالإقرار والتّصديق، وهما قائمان.

وذهب الحنابلة إلى حرمة التّشبّه بالكفّار في اللّباس الّذي هو شعار لهم. قال البهوتّي: إن تزيّا مسلم بما صار شعاراً لأهل ذمّة، أو علق صليباً بصدره حرم، ولم يكفر بذلك كسائر المعاصي.

ويرى النوويّ من الشّافعيّة أنّ من لبس الزنار ونحوه لا يكفر؛ إذا لم تكن نيّة.

أحوال تحريم التّشبّه:

يقيد الفقهاء كفر من يتشبه بالكفار في اللباس الخاص بهم بقيود منها:

- أن يفعله في بلاد الإسلام:

قال أحمد الرّملّي: كون التّزيّ بزيّ الكفّار ردّة محلّه إذا كان في دار الإسلام. أمّا في دار الحرب فلا يمكن القول بكونه ردّة، لاحتمال أنّه لم يجد غيره كما هو الغالب، أو أن يكره على ذلك.

- أن يكون التشبه لغير ضرورة:

فمن فعل ذلك للضرورة لا يكفر.

- أن يكون التّشبّه فيما يختصّ بالكافر، كبرنيطة النّصرانّي، وطرطور اليهوديّ..

ويشترط المالكيّة لتحقّق الرّدّة بجانب ذلك: أن يكون المتشبّه قد سعى بذلك للكنيسة ونحوها.

- أن يكون التّشبّه في الوقت الّذي يكون اللّباس المعيّن شعاراً للكفّار..

وقد أورد ابن حجر حديث أنس رضي الله عنه أنّه رأى قومًا عليهم الطّيالسة، فقال: كأنّهم يهود خيبر، ثمّ قال ابن حجر: وإنّما يصلح الاستدلال بقصّة اليهود في الوقت الّذي تكون الطّيالسة من شعارهم، وقد ارتفع ذلك فيما بعد، فصار داخلاً في عموم المباح.

• أن يكون التّشبّه ميلا للكفر، فمن تشبّه على وجه اللّعب والسّخرية لم يرتدّ، بل يكون فاسقا يستحقّ العقوبة.وهذا عند المالكيّة.

انعدام قصد التشبه:

هذاوالتّشبّه في غير المذمومفيما لم يقصد به التّشبّه لا بأس به.

قال صاحب الدّر المختار:

إنّ التّشبّه بأهل الكتاب لا يكره في كلّ شيء، بل في المذمومفيما يقصد به التّشبّه.

قال هشام: رأيت أبا يوسف لابسًا نعلين مخصوفين بمسامير، فقلت: أترى بهذا الحديد بأسا؟ قال: لا، قلت: سفيان وثور بن يزيد كرها، ذلك لأنّ فيه تشبّها بالرّهبان، فقال:كان رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يلبس النّعال الّتي لها شعر؛ وإنّها من لباس الرّهبان.

فقد أشار إلى أنّ صورة المشابهة فيما تعلّق به صلاح العباد لا يضرّ، فإنّ الأرض ممّا لا يمكن قطع المسافة البعيدة فيها إلّا بهذا النّوع.

التّشبّه بالكفّار في أعيادهم:

لا يجوز التّشبّه بالكفّار في أعيادهم، لما ورد في الحديث «من تشبّه بقوم فهو منهم»، ومعنى ذلك تنفير المسلمين عن موافقة الكفّار في كلّ ما اختصّوا به.

وروى البيهقّي عن عمر رضي الله عنه أنّه قال: لا تعلّموا رطانة الأعاجم، ولا تدخلوا على المشركين في كنائسهم يوم عيدهم، فإنّ السّخطة تنزل عليهم.

وروي عن عبد اللّه بن عمر رضي الله عنهما أنّه قال: من مرّ ببلاد الأعاجم فصنع نيروزهم ومهرجانهم وتشبّه بهم (حتّى يموت) وهو كذلك، حشر معهم يوم القيامة.

ولأنّ الأعياد من جملة الشّرع والمناهج والمناسك الّتي قال اللّه سبحانه وتعالى: { لِكلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوه } كالقبلة والصّلاة، والصّيام فلا فرق بين مشاركتهم في العيد، وبين مشاركتهم في سائر المباهج، فإنّ الموافقة في جميع العيد موافقة في الكفر،

والموافقة في بعض فروعه موافقة في بعض شعب الكفر، بل الأعياد من أخصّ ما تتميّز به الشّرائع ومن أظهر ما لها من الشّعائر، فالموافقة فيها موافقة في أخصّ شرائع الكفر وأظهر شعائره.

قال قاضيخان:رجل اشترى يوم النّيروز شيئاً لم يشتره في غير ذلك اليوم: إن أراد به تعظيم ذلك اليوم كما يعظّمه الكفرة يكون كفًرا..

وإن فعل ذلك لأجل السّرف والتّنعّم لا لتعظيم اليوم لا يكون كفًرا.

وإن أهدى يوم النّيروز إلى إنسان شيئاً ولم يرد به تعظيم اليوم، إنّما فعل ذلك على عادة النّاس لا يكون كفًرا.

وكره ابن القاسم - من المالكيّة - للمسلم أن يهدي إلى النّصرانّي في عيده مكافأة، ورآه من تعظيم عيده، وعوناً له على كفره.

أمثال عربية في التشبه والمشابهة

امتلأ التراث العربي بالأمثال والكنايات التي تعبر عن المشابهة أو التشبه، أورد هنا بعضها، من باب الإيضاح والإثراء:

من أمثال القرآن الكريم في التشبه:

في القرآن الكريم أمثال في المشابهة كثيرة، أورد بعضها ولا أستقصى، ففي الإشارة غنية فيما أرجو:

- (ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه؛ فمثله كمثل الكلب: إن تحمل عليه يلهث، أو تتركه يلهث...) الأعراف:176.

قال العلامة الشنقيطي في الأضواء:

ضرب الله تعالى المثل لهذا الخسيس الذي آتاه آياته فانسلخ منها، بالكلب، ولم تكن حقارة الكلب مانعة من ضربه تعالى المثل به، وكذلك ضرب المثل بالذباب في قوله عز وجل: (يأيها الناس ضرب مثل، فاستمعوا له، إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابًا - ولو اجتمعوا له - وإن يسلبهم الذباب شيئًا لا يستنقذوه منه؛ ضعف الطالب والمطلوب) وكذلك ضرب المثل ببيت العنكبوت في قوله تعالى: (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتًا، وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت؛ لو كانوا يعلمون) وكذلك ضرب المثل بالحمار في قوله تعالى: (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارًا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله، والله لا يهدي القوم الظالمين)..

وهذه الآيات تدل على أنه تعالى لا يستحي من بيان العلوم النفيسة؛ عن طريق ضرب الأمثال بالأشياء الحقيرة، وقد صرح بهذا المدلول في قوله عز من قائل: (إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها).

- **(أولئك كالأنعام؛ بل هم أضل، أولئك هم الغافلون) الأعراف:179.**

قال العلامة الطبري في تفسيره: يعني جل ثناؤه بقوله: (أولئك كالأنعام) هؤلاء الذين ذرأهم لجهنم هم كالأنعام، وهي البهائم التي لا تفقه ما يقال لها، ولا تفهم ما أبصرته لما يصلح وما لا يصلح، ولا تعقل بقلوبها الخير من الشر، فتميز بينهما. فشبههم الله بها، إذ كانوا لا يتذكرون ما يرون بأبصارهم من حججه، ولا يتفكرون فيما يسمعون من آي كتابه. ثم قال سبحانه: (بل هم أضل) يقول: هؤلاء الكفرة الذين ذرأهم لجهنم، أشد ذهاباً عن الحق، وألزم لطريق الباطل من البهائم، لأن البهائم لا اختيار لها ولا تمييز فتختار وتميز، وإنما هي مسخرة، ومع ذلك تهرب من المضار، وتطلب لأنفسها من الغذاء الأصلح. والذين وصف الله صفتهم في هذه الآية - مع ما أعطوا من الأفهام والعقول المميزة بين المصالح والمضار - تترك ما فيه صلاح دنياها وآخرتها، وتطلب ما فيه مضارها، فالبهائم منها أسدّ، وهي منها أضل، كما وصفها به ربنا جل ثناؤه.

- **مثل الذين حملوا التوراة، ثم لم يحملوها، كمثل الحمار يحمل أسفاراً بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله...) الجمعة:5.**

قال العلامة الطبري في تفسيره: يقول تعالى ذكره: مثل الذين أوتوا التوراة من اليهود والنصارى، فحملوا العمل بها (ثم لم يحملوها) يقول: ثم لم يعملوا بما فيها، وكذبوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، وقد أمروا بالإيمان به فيها واتباعه والتصديق به (كمثل الحمار يحمل أسفاراً) يقول: كمثل الحمار يحمل على ظهره كتباً من كتب العلم، لا ينتفع بها، ولا يعقل ما فيها، فكذلك الذين أوتوا التوراة التي فيها بيان أمر محمد صلى الله عليه وسلم، مثلهم إذا لم ينتفعوا بما فيها، كمثل الحمار الذي يحمل أسفاراً فيها علم، فهو لا يعقلها، ولا ينتفع بها.

- **(كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ، فلما كفر قال: إني بريء منك...) الحشر الآيات: 11-17.**

يضرب الله تعالى حال اليهود والمنافقين الذين يهربون، ويتركون من يستنصرون بهم بالشيطان عليه لعائن الله تعالى، اقرأ قوله تعالى: (ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم

الذين كفروا من أهل الكتاب: لئن أخرجتم لنخرجن معكم، ولا نطيع فيكم أحدًا أبدًا وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون* لئن أخرجوا لا يخرجون معهم، ولئن قوتلوا لا ينصرونهم، ولئن نصروهم ليولن الأدبار، ثم لا ينصرون* لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله؛ ذلك بأنهم قوم لا يفقهون* لا يقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة، أو من وراء جدر؛ بأسهم بينهم شديد: تحسبهم جميًعا وقلوبهم شتى؛ ذلك بأنهم قوم لا يعقلون* كمثل الذين من قبلهم قريباً: ذاقوا وبال أمرهم، ولهم عذاب أليم* كمثل الشيطان إذ قال للإنسان: اكفر، فلما كفر قال: إني بريء منك؛ إني أخاف الله رب العالمين* فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها، وذلك جزاء الظالمين).

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى: مثل هؤلاء اليهود في اغترارهم بالذين وعدوهم النصر من المنافقين، وقول المنافقين لهم: (وإن قوتلتم لننصرنكم) ثم لما حقت الحقائق وجد بهم الحصار والقتال، تخلوا عنهم وأسلموهم للهلكة، مثالهم في هذا كمثل الشيطان إذ سول للإنسان - والعياذ بالله - الكفر، فإذا دخل فيما سوله تبرأ منه وتنصل، وقال: (إني أخاف الله رب العالمين).

وقال ابن جرير: حدثني..... قال: كانت امرأة ترعى الغنم، وكان لها أربعة إخوة، وكانت تأوي بالليل إلى صومعة راهب. فنزل الراهب ففجر بها، فحملت، فأتاه الشيطان فقال له: اقتلها ثم ادفنها، فإنك رجل مصدق يسمع قولك. فقتلها ثم دفنها!

فأتى الشيطان إخوتها في المنام فقال لهم: إن الراهب صاحب الصومعة فجر بأختكم، فلما أحبلها قتلها، ثم دفنها في مكان كذا وكذا!

فلما أصبحوا قال رجل منهم: والله لقد رأيت البارحة رؤيا ما أدري أقصها عليكم أم أترك؟ قالوا: لا بل قصها علينا. قال: فقصها، فقال الآخر: وأنا والله لقد رأيت ذلك، فقال الآخر: وأنا والله لقد رأيت ذلك. فقالوا: فوالله ما هذا إلا لشيء. قال: فانطلقوا فاستعدوا ملكهم على ذلك الراهب، فأتوه فأنزلوه ثم انطلقوا به، فلقيه الشيطان فقال: إني أنا الذي أوقعتك في هذا، ولن ينجيك منه غيري، فاسجد لي سجدة واحدة، وأنجيك مما أوقعتك فيه. قال: فسجد له، فلما أتوا به ملكهم تبرأ منه، وأخذ فقتل.

من الأقوال النبوية الشريفة في المشابهة:

وفي السنة الطهرة كذلك أمثال في المشابهة كثيرة، أورد بعضها ولا أستقصى، وتكفيني هنا الإشارة:

- **حذو القذة بالقذة:**

روى الشيخان عن سيدي أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لتتبعن سنن من كان قبلكم؛ حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب خرب لدخلتموه) فقيل: اليهود والنصارى يا رسول الله؟ فقال صلى الله عليه وسلم: (فمن؟)!

وقوله صلى الله عليه وسلم: حذو القذة بالقذة فيه كناية عن المجاراة والموافقة والمشابهة لعوائد أهل الكتاب، مجاراة شديدة قد تصل إلى حد التطابق، وهذا مأخوذ من قوله صلى الله عليه وسلم: (حذو القذة بالقذة) والقذة ريش السهم، ولا يخفى ما في الريش من تشابه شديد! (حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه) وهذا يعني تقليدهم في الأشياء غير المعقولة ولا المقبولة، على مستوى التسفل إلى الجحور، والنافقاء، بل إلى ما هو أسوأ (حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك)! ولا حول ولا قوة إلا بالله!

حذو النعل بالنعل:

وفي سنن الترمذي عن سيدي عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما، عن سيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل؛ حذو النعل بالنعل، حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك! وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة)! قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ صلى الله عليه وسلم: (ما أنا عليه وأصحابي).

جاء في الصّحاح: حذوت النعل بالنعل حذوا، إذا قدرت كل واحدة على صاحبتها، وفي التهذيب: قطعها على مثال، ورجل حذاءٌ: جيد الحذو. يقال: هو جيدُ الحذاء أَي جيد القدِّ. وفي المثل:مَنْ يكُنْ حذاءً تجدْ نَعْلاهُ . وحذوت النعلَبالنعلِ والقذةَ بالقذَةِ : قَدرتهما عليهما، وفي المثل: حَذْوَ القذَ بالقذَة . وحذا الجلدَ يحذوه إِذا قوره، وفي الحديث: لَتركبنَّ سنَن مَنْ كان قَبلكُ حذوَ النعلِ بالنعلِ؛ الحذو: التقدير والقطع، أَي تعملون مثل أَعمالهم كما تُقطع إِحدى النعلين على قدر الأُخرى!

وفي هذا إشارة أيضًا إلى الاتباع المطلق لعوائد غير المسلمين، حتى في التفرق والاختلاف، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم!

وجاء في (الأمثال الشعبية الفلسطينية الشائعة في قلقيلية) من هذا المورد:

ما أشبه الليلة بالبارحة:

(وردت هذه العبارة في كلام السلف، والشعراء، وكتب الأمثال، وغير ذلك.

فقد جاء في تفسير قوله تعالى: (كالذين من قبلكم: كانوا أشد منكم قوة، وأكثر أموالًا، وأولادًا، فاستمتعوا بخلاقهم، فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم، وخضتم كالذي خاضوا..).

وذكر أبو الفضل الميداني في مجمع الأمثال معنى "ما أشبه الليلة بالبارحة": أي ما أشبه بعض القوم ببعض.

يضرب المثل في تساوي الناس في الشر والخديعة.

وتمثل به سيدنا الحسن رضي الله عنه في بعض كلامه للناس، وهو من عجز بيت شعر لطرفة بن العبد يقول فيه:

كل خليل كنت خاللته *** لا ترك الله له واضحة

كلهم أروغ من ثعلب *** ما أشبه الليلة بالبارحة

وإنما خص البارحة لقربها منها، فكأنه قال: ما أشبه الليلة بالليلة، يعنى أنهم في اللؤم من نصاب واحد،

والباء في "البارحة" من صلة المعنى، كأنه في التقدير شيء يشبه الليلة بالبارحة. يضرب عند تشابه الشيئين أو تماثل صفاتهما).

المرء بجليسه:

أي أن المرء من جليسه وهو على شاكلته، فما يجتمع اثنان إلا وبينهما سجايا مشتركة..

المرء بخليله:

قال أبو عبيد: جاءنا الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم إنّه قال: إنّما المرء بخليله، فلينظر امرؤ من يخال. وقال عدي بن زيد العبادي:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه *** فكل قرين بالمقارن مقتد

وقال أبو تمام في مكارم الاخلاق:

إذا جاريت في خلقٍ دنيئاً *** فأنت ومن تجاريه سواء

المرء على دين خليله:

الخليل: الصاحب أو الصديق. أي أن المرء من صاحبه وهو على شاكلته، فما يجتمع اثنان إلا وبينهما سجايا مشتركة. يقول الشاعر العربي طرفة بن العبد:

عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه *** فإن القرين بالمقارن يقتدي

من شابه أباه فما ظلم:

أي من تشبه بأفعال ابيه وخصاله الحميدة لم يَظلمه، لأنه ليس أحدٌ أولى به منه بأن يشبهه، فهو ولده. اما ظلم الولد لابيه فيكون عندما يتشبه الولد بأخلاق وأفعال أهل السوء.كما يجوز أن يُراد به فما ظلم الأَب، أي إ ن الاب لم يظلم حين وضع زَرْعَه، حيث أدَّى إليه الشبه.

يُضرب لمن يشبه أباه في أعماله وتصرفاته. وهذا المثل من عجز بيت الشعر القائل:

بأبِه اقتدى عديٌّ في الكرْم *** ومن يشابْه أبَه فما ظلْم

وشبيه هذا المثل قول الشاعر:

ينشأ الصغير على ما كانوا لِدُه *** إن العروق عليها ينبُت الشجر

• الناس على دين ملوكهم:

مما يسير على الألسنة –وليس حديثًا نبويًّا - أن (الناس على دين ملوكهم) يقلدونهم، ويسيرون سيرتهم، ويحطبون في حبالهم.. وشاع أن الناس في زمن الحجاج كانوا يتساءلون إذا تلاقوا: من قتل البارحة؟ ومن جلد؟

وكان الوليد بن هشام صاحب ضياع ومصانع، فكان الناس يتساءلون في زمانه عن البنيان، والمصانع، وشق الانهار، وغرس الأشجار..

ولما ولي سليمان بن عبد الملك كان الناس يتحدثون ويتساءلون عن الأطعمة الرفيعة واللذيذة، وفي أخبار القيان والسراري، ويعمرون مجالسهم بذكرهن..

ولما ارتقى سيدنا عمر بن عبد العزيز رحمه الله الخلافة كان الناس يتساءلون: كم تحفظ من القرآن؟ وكم وردك كل ليلة؟ وكم يحفظ فلان؟ وكم يصوم في الشهر؟

ولعل هذه المقولة لم تتخلف في زماننا بشكل كامل، فالناس يتأثرون بالكبار، والنجوم، والمشاهير، يقلدونهم في ثيابهم، وشعورهم، ومشيتهم، ونطقهم، وأساليب حياتهم إن استطاعوا. ولا تخفى فتنة الشباب بنجوم السينما والكرة والغناء وأشباههم،

(ويرى الإمام الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في (البداية والنهاية) صحة هذه العبارة إلى حد كبير.. فالناس بالفعل علي دين مليكهم ، إن كان خملاًركثر الخمر، وإن كان خليًعا فكذلك، وإن كان شحيحًا حريصًا كان الناس كذلك، وإن كان جوادًا كريمًا شجاعًا، كان الناس كذلك، وإن كان طماعًا ظلومًا غشومًا فكذلك، وإن كان ذا دين وتقوى وبر وإحسان كان الناس كذلك.. وهذا يوجد في بعض الأزمان وبعض الأشخاص.

وسيأتي بعدُ كيف أثر الملك الإسباني المعوق في شعبه بالكامل، حتى جعله شعبًا ألثغ عجيب النطق، كثير الثأثأة!

ولقد ظلت الفنون الإسلامية تزدهي وتزدهر أيام العثمانيين بشكل فائق؛ بسبب عناية الخلفاء العثمانيين بالفنون الإسلامية؛ من معمار وخطوط وزخرفة وتذهيب، وزجاجيات زاهية وخشبيات باهية، ونحاسيات مدهشة، وصدفيات آخذة!

ورأينا في زماننا حين يكون الرئيس لصًّا كيف يتحول قطاع من الناس إلى لصوص، وإذا كان فاسد الذمة كان كثير من شعبه فاسدي الذمم منحرفين، وإذا كان قمَّاعًا جبارًا تأرنب شعبه، وذل!

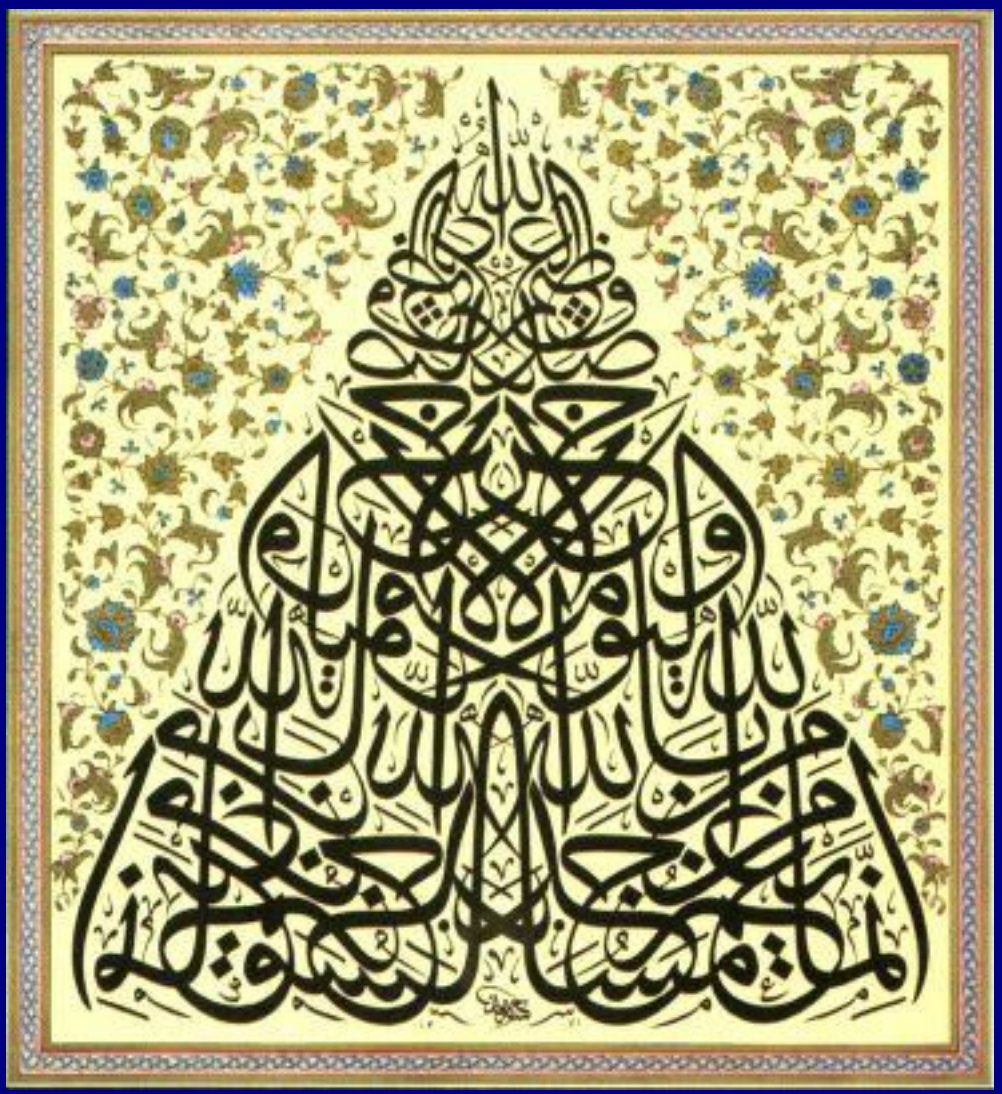

من لطائف المشابهة في الأدبيات العربية:

صباح الخير بالليل!

هناك لطائف كثيرة يحويها الأدب العربي، في جانب المشابهة بصورها: الإيجابية، والسلبية/ الحميدة والذميمة/ المقبولة والمرفوضة. ويأبى الشعراء والأدباء إلا أن يصيدوا صيدهم في هذا الباب، بشكل فيه طرافة ولطف، ومن ذلك:

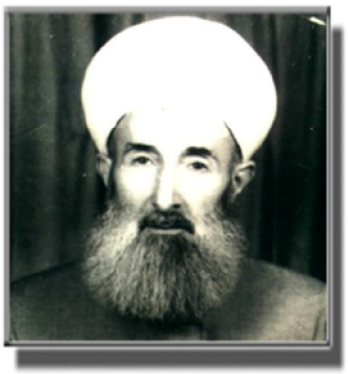
الشيخ عبد الله سراج الدين

ما أورده السيد الدكتور عثمان قدري مكانسي، في مقاله: من كل بستان وردة:

....تذكرتِ فعل الشاعر بكري رجب البابي الحلبي رحمه الله تعالى - وكان شاعرًا مبدعًا، رقيق الحاشية عذب التعابير، لطيف المعشر – مع الشيخ العالم عبد الله سراج الدين ابن الشيخ نجيب رحمهما الله تعالى، حين دخل على الشيخ في غرفة إدارة الثانوية الشعبانية التي أسسها أبو هـ في حي "الفرافرة" في حلب القديمة، لتخريج الدعاة إلى الله تعالى، ثم عكف الشيخ عبد الله على تطويرها.

وكان الشاعر بكري رجب البابي الحلبي يعمل فيها مدرسًا للغة العربية، وبعض المواد الشرعية الأخرى.. دخل عليه مساء فقال له: صبحك الله بالخير!

فالتفت إبه الشيخ عبد الله سراج الدين، وحدجه بنظرة فيها استغراب وعتاب واستفهام!

أما الاستغراب فلأنه قالها في المساء، وهي عادة تقال في بلاد الشام صباحًا.. أما في الجزائر حيث دّرست سنتين في بلاد القبائل الصغرى – بجاية – فيقولون مساء "صبحك الله بالخير"، ويقولون صباحًا "مّساك الله بالخير" وأعتقد أنهم على صواب، ففي المساء يكون الواحد منا قد أمسى على خير، ويراه صاحبه فيدعو متمنياً له دوام السلامة "صبحك الله بالخير". وهكذا يفعل في الصباح، حين يراه فيرجوله الخير إلى المساء.

وأما العتاب فلأن الشاعر دائم "النهفات" وينأى عن الجد في كثير من مواقفه، وطبيعته المرحة تدفعه إلى ذلك.

وأما الاستفهام فلأن الشاعر ما ألقى تلك الجملة إلا ليردفها بتفسير وتعليل.. هكذا عوّد الأحباب، والشيخ منهم.. وقال الشيخ بهدوء المتمكن: يا شيخ بكري رجب البابي الحلبي - ناداه باسمه كاملًا - أتسخر منا؛ أم تريد مزاحًا؟

فوقف الشاعر أمامه مبتسمًا متحببًا وعيناه تغزلان ذكاءً ، ثم قال:

صبّحته عند المساء فقال لي: *** تهزا بقدري أم تروم مزاحا؟

فأجبته: إشراق وجهك غرّني *** حتى توهّمت المساء صباحا!

شبيه الشيء:

وفي مقاله عن شعر الفكاهة عند العرب، ذكر السيد إسماعيل بريك:

تباري شعراء المهجر في شعر الفكاهة، فقد روي جورج صيدح أن الشاعر نعمة قازان - وكان صاحب محل أحذية - أهدي إلى صديقه الشاعر توفيق ضعونحذاءً ، أرفقه بهذين البيتين من الشعر:

لقدهديت توفيقًا حذاءً فقال الحاسدون: وما عليه!؟

أما قال الفتي العربي يومًا: شبيه الشيء منجذب إليه!؟

فشكره توفيق على الهدية، وأرسل إليه باقة من الورد، وأرفق بها هذين البيتين:

لو كان يهدي إلي الإنسان قيمته لكنت أسألك الدنيا وما فيها

لكن تقبلت هذا النعل معتقدًا أن الهدايا على مقدار مهديها!

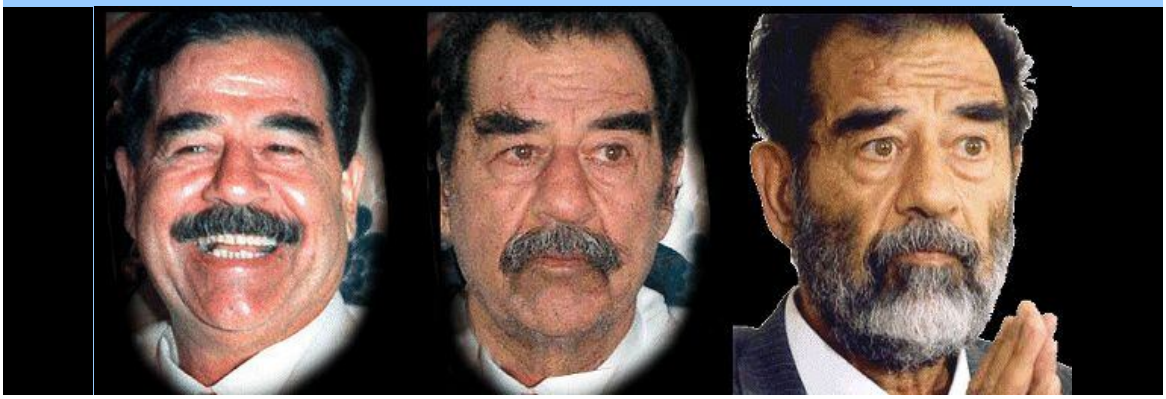

شن وطبقة

كان رجل من دهاة العرب وعقلائهم يقال له: شن، طال به الأمد في بحثه عن امرأة من قومه تشابهه في فطنته وعقله، وحسن تأتيه، فقال: والله لأطوفن حتى أجد امرأة مثلي أتزوجها، فأخذ يجول هنا وهنا، آملاً أن يجد بغيته، إذ وافقه رجل في الطريق، فسأله شن: أين تريد فقال: موضع كذا؛ يريد القرية التي يقصدها شن فوافقه..

حتى إذا أخذا في مسيرهما،وطال بهما الطريق والسكوت، أراد شن أن يُذهب الملل والصمت، فسأل الرجل، وكان سخيف العقل، عجولاً مندفعًا؛ فقال له شن:

أتحملني أم أحملك؟

فرد الرجل: تحملني!؟ يا جاهل: أنا راكب وأنت راكب، فكيف أحملك أو تحملني؟!

فسكت عنه شن؛ إذ لم يفهم الرجل عنه، وسارا حتى إذا قربا من القرية، إذا بزرع قد استحصد، فقال شن:

أترى هذا الزرع أكل أم لا؟

فقال له ذو اللسان الطويل: يا جاهل: ترى نبتاً مستحصدًا فتقول أكل أم لا!؟

فسكت عنه شن، حتى إذا دخلا القرية لقيتهما جنازة، فقال شن:

أترى صاحب هذا النعش حيًّا أوميتاً؟

فقال الرجل: ما رأيت أجهل منك! ترى جنازة، فتسأل: أميت صاحبها أم حي!؟

فسكت عنه شن حتى إذا أتيا قرية، فأراد مفارقة الرجل، فأبى أن يتركه، حتى يصير به إلى منزله ليضيفه، فقبل ضيافته، ومضى معه!

وكان للرجل بنت يقال لها: طبقة، ذكية فطنة، فلما دخل عليها أبوها سألته عن ضيفه، فأخبرها بمرافقته إياه، وشكا إليها جهله، وحدثها بحديثه، فقالت:

يا أبت: ما هذا بجاهل:

أما قوله: أتحملني أم أحملك؟ فأراد: أتحدثني أم أحدثك حتى نقطع طريقنا!

وأما قوله: أترى هذا الزرع أكل أم لا؟ فأراد: هل باعه أهله فأكلوا ثمنه أم لا!؟

وأما قوله في الجنازة فأراد: هل ترك عقبًا يحيا بهم ذكره أم لا؟

فخرج الرجل فقعد مع شن، فحادثه ساعة، ثم أراد أن يتباهى ويدعي أنه فهم عن شن ما أراد، فقال في ادعاء وتعالم: أتحب أن أفسر لك ما سألتني عنه؟

قال: نعم، فسره.

فلما فسره كما قالت البنت، قال شن:

ما هذا من كلامك، فأخبرني عن صاحبه.

قال: ابنة لي. فعلم شن أن وجد بغيته بعد طول رحيل، في ابنة هذا الشيخ العيي، فخطبها إليه، فزوجه إياها، وحملها إلى أهله، فلما رأوها قالوا:

وافق شن طبقة، فذهبت مثلًا يضرب للمتوافقين.

ملك إسباني ألثغ يفسد لسان أمة

معلوم أن النخب الحاكمة – خصوصًا الأمراء والملوك – محل تقليد، وإعجاب.. وهذه حكاية طريفة أسوقها لبيان أثر تقليد الملوك، واتباعهم:

يلحظ السامع للغة الإسبانية انتشار حرف الثاء بين الناطقين بهاانتشارًا عجيبًا، فلا تخلو جملة من ألفاظ (مثأثأة) وكان وراء ذلك قصة طريفة متداولة بين الإسبان سمعتها منهم:

عانى الملك الأسباني شارل الثاني عجزًا عقليًّا وجسديًّا من سن مبكره جدًّا، وكان سيئ النطق، ألثغ، يقلب السين والزاي وما شابهها ثاء، حتى صار كلامه كله بحكم الإعاقة (ثأثأة) ملحوظة!

وخشية من إحراجه إذا هم نطقوا الحروف على وجهها، اتفق بعض من حوله من حاشيته أن يقلدوه في تحويل بعض الحروف إلى ثاءات مثله، وشاع بينهم ذلك، وفشا؛ حتى صار نمطًا في كلامهم..

ثم بدأت العامة تلحظ فعل هذه النخبة المحيطة بالملك، فظنوا أن (الثأثأة) من علامات الرقي، وأن من تشبه بالقوم صار منهم.. فبدأ الشعب تدريجيًّا (يثأثئ) وشاع ذلك، وعم، إلى يومنا هذا، حتى غلب حرف الثاء على اللغة غلبة واضحة..

لكن الشعب الإسباني لم يصر بالتقليد من الثأثأة ملكيًّا في سمته، وحاله، وغناه، وترفه؛ بل عانى وعانى.. وربما لا يزال!

أشبهت البغلة صاحبها:

يولع الأوربيون بالتقاط صور لهم مع حيوانهم الأليف، وكثيرًا ما يتشبهون به، وفي تراثنا الساخر شيء مثل هذا!

يقول البهاء زهير في وصف بغلةِ صديق له:

لك يا صديقى بغلة..... ليست تساوى خردلة

تمشى فتحسبها العيو..... ن على الطريق مشكّلة

وتخالُ مدبرةّ إذا..... ما أقبلت مستعجلة

مقدارُ خطوتها الطوي..... لة حين تُسرعُ أنملة

تهتزُ وهي مكانها..... فكأنما هي زلزلة

أشبهتها بل أشبهت..... ك كأن بينكما صلة

تحكى صفاتك فى الثقا..... لة والمهانة والبله

لن تجني من الشوك العنب

كان لحنظلة النميري ابن عاق يقال له مرة، فقال له أبوه يومًا:

إنك لمر يا مرة.

قال أعجبتني حلاوتك يا حنظلة.

قال: إنك خبيث كاسمك.

قال: أخبث مني من سماني.

قال: كأنك لست من الناس.

قال: من شابه أباه فما ظلم.

قال: ما أحوجك إلى أدب.

قال: الذي رباني أحوج مني.

قال: عقمت أم ولدتك.

قال: إذا ولدت من مثلك.

قال: كنت مشؤوما على إخوتك، دفنت وبقيت.

قال: أعجبني كثرة عمومتي!

قال لا تزداد إلا خبثاً.

قال: لا يجنى من الشوك العنب!

على ما كان عوده أبوه!

اشتهر بين الناس قول الشاعر:

وينشأ ناشئ الفتيان منا = على ما كان عوّده أبوه!

واختلفوا في قائله، فمنهم من نسبه لأبي العلاء المعري، الذي قاله ضمن جملة أبيات:

قَد اختَلَّ الأَنامِ بِغَيرِ شَكٍّ = فَجَهّلوا في الزَمانِ وَأَلعبوهُ

وَظَنوا أَنَّ بوهَ الطيرِ صقْر = بِجَهلِهُم.. وَأَنَّ الصقَر بوهُ

وَوو دوا العَيشَ في زَمنٍ خَؤونٍ = وَقَد عَرفوا أَذاهُ وَجربوهُ

وَيَنشَأُ ناشئُ الفتيانِ منّا = عَلى ما كانَ عَوّدَ أَبوهُ

وَما دانَ الفَتى بِحِجًى وَلَكِن = يُعلمهُ التدَينَ أَقربوهُ

ومنهم من نسبه للأصمعي؛ وأستبعد لأنها أرق من عصر الأصمعي، وأبعد عن طبيعته:

مشى الطاووس يومًا باختيال = فقلد شكل مشيته بنوهُ

فقال: علامَ تختالون!؟ قالوا: = بدأت به ونحن مقلدوهُ

فخالف سيرك المعوّج واعدل = فإنا إن عدلت معدلوه

أما تدري أبانا؟ كل فرع = يجاري بالخُطا من أدّبوه

وَيَنشَأُ ناشئُ الفتيانِ منّا = عَلى ما كانَ عَوّدَهُ أَبوهُ

وعلى غرارها كتب أحد المعاصرين مجيزًا:

(وينشأ ناشئ الفتيان منا.... على ما كان عوّده أبوهُ)

فإنَّ العرقَ دَسّاسٌ وما في .... فؤادِ المرءِ قد يبديه فُوهُ

فإن كانَ الذي يبديه خيرًا.... فنعمَ الكاسُ منها قد سَقُوهُ

وفي مشابهة الابن أباه أيضًا:

جاء في كتاب الأمثال الكويتية المقارنة للأستاذ أحمد البشر الرومي، عن المثل الشائع، الذي يكثر به الاستشهاد في كتب النحو: من شابه أبه فما ظلم:

أورده الميداني بصيغة: من أشبه أباه فما ظلم، وكتب الشيخ علي أبو الحسن إلى الأديب البارع، وقد وفد إليه ابنه الربيع بن البارع فقال: «مرحبا بولده؛ بل بولدي الظريف، الربيع الوارد في الخريف:

كأنك قد قابلت منه سنجنجلا فجاءك منه بالخيال المماثل

وأورده العسكري بلفظه، والمثل قديم، وقد حكاه كعب بن زهير في بعض شعره فقال:

أنا ابن الذي قد عاش تسعين حجة فلم يخز يومًا في معد ولم يلْم
وأكرمه الأكفاء من كل معشر كرام.. فإن كذبتني فاسأل الأمم
وأعطى حتى مات فضلا ورهبة وأورثني إذ ودع المجد والكرم
وأشبهته من بين من وطئ الحصا ولم ينب عني شبه خال ولا ابن عم
فقلت شبيهات بما قال عالم بهن ومن يشبه أباه فما ظلم

وقال آخر:

وان امرأ في اللؤم أشبه جده ووالده الادنى لغير ملوم

وقال حسان رضي الله تعالى عنه:

أبوك أبو سوء.. وخالك مثله ولست بخير من أبيك وخالكا
وإن أحق الناس ألا تلومه على اللؤم من ألفى أباه كذلكا

وقال رؤبة بن العجاج:

بأبه اقتدى عدي في الكرم ومن يشابه أبه فما ظلم

وقال رؤبة بن العجاج كذلك:

بنو الطيبين الطيبون ومن يكن لآباء صدق يلقهم حيث سيرا

سيدي سعد وابنه قيس.. رضي الله عنهما

كان الصحابي الجليل سيدي سعد بن عبادة رضي الله تعالى عنه يرجع كل ليلة إلى أهله بثمانين من أهل الصفة، من فقراء المهاجرين بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، يشبعهم من الطعام والشراب!

وكان ابنه قيس جوادًا كريمًا، له عجائب وغرائب في الكرم والجود، كان يطعم الناس في أسفاره مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.. وكان إذا نفد ما معه تدين واقترض، وكان ينادي في كل يوم: هلموا إلى اللحم والثريد!

وكان ابن سيرين يقول: كان سعدٌ ينادي على أُطمة: من أحب شحمًا ولحمًا فليأت، ثم أدركت ابنه مثل ذلك:

بأبه اقتدى عديٌّ في الكرم..... ومن يشابه أبه فما ظلم

ولهذا يقول الذهبي رحمه الله في السير: وجود قيس يضرب به المثل، وقفت عليه عجوز فقالت: أشكو إليك قلة الجرذان؛ تعرِّض بالحاجة، والجرذان إنما تكون في حال وجود الطعام، فقالت: أشكو إليك قلة الجرذان في بيتي، فقال: ما أحسن هذه الكفاية، املؤوا بيتها خبزًا ولحمًا وسمناً وتمرًا..

البنت سر أمها

جرت عادة الشعوب أن يربطوا البنت بأمها طبيعة وسلوكًا، ومشابهة، حتى قال المصريون: (اقلب القدرة على فُمِّها.. تطلع البنت لأمها).. فاقرأ هذه:

قدمت الام لزيارة ابنتها، ولما همت بالانصراف أعطت حفيدتها الصغيرة ورقة مالية؛ لتشتري بها بعض الحلوى.

أخذت الطفلة النقود ولم تقل لجدتها أي عبارة من عبارات الشكر، فنهرتها أمها وقالت:

أهكذا تتصرف مع من كانت في مثل سنك؛ عندما يقدم لها شيء؟

أتذكرين ماذا اقول أنا لوالدك عندما يعطيني نقودًا؟

فأجابت الطفلة على الفور: تقولين له: فقط هذه؟!

وعن مشابهة طفلة (غلسة) لأمها، يحكون رواية مضحكة، أسوقها من باب الطرافة والتملح، لا من باب الجدية والاستشهاد العلمي:

الطفلة: ألووووووو

المرأة: ألو مرحبا

الطفلة: أهلين

المرأة: وين الوالدة؟

الطفلة: ما في عندنا واحدة والدة!

المرأة: لا لا عيب.. لاسمح الله الله يخليها لكم..

الطفلة: وشو ما سمح الله.. لا سمح الله؟ ما عندنا والدة!

المرأة: كم عمرك يا شاطرة؟

الطفلة: كيف عرفتي إني شاطرة؟

المرأة: تضحك.. وتقول مبين إنك خفيفة دم!

الطفلة: انتي اللي خفيفة دم.. لا تقولين عني هيك!

المرأة: مبين عليك صغيرة!

الطفلة: أنا أطول منك!

المرأة: طيب.. يلا أعطيني ماما!

الطفلة: ليش؟ هي أمك عندنا؟

المرأة: لا نادي أمك!

الطفلة: أمي ما عندها نادي!

المرأة: الله يصبرني!

الطفلة: يصبرك مع شوك.. أو بدون؟

المرأة: تصرخ عطيني أحد كبير!

الطفلة: كبير بالحجم أو بالطول ولا بالعمر؟

المرأة: اعطيني واحد برميل أتكلم معاه!

الطفلة: استغفر الله.. البرميل جماد!

المرأة: هلأ باجي عندكم..عطيني أحد أتكلم معو!

الطفلة: لا تجي.. صديقاتي عندي.. إذا راحوا تعالي!

المراة: طيب بس أشوفك إلا أسوي منك بطاطا!

الطفلة: بطاطا مسلوقة أو مقلية؟

المرأة: أحسن لك تسكتي لأنك زعلتيني

الطفلة: مين إللي زعل التاني؟

المرأة: خلاص زودتيها عاد!

الطفلة: تقصدي عاد ولا ثمود!؟ الصراحة أنا مش مبسوطة.. في شيء مزعلني!

المرأة: خليه يزعلك يمكن تنفجرين مثل البالون!

الطفلة: شو لون البالون؟

المرأة: تصرخ بأعلى صوتها وييين الوالدة؟

تاخذ الأم التلفون

الأم: مين معي؟

المرأة: ول علينا.. شو هالبنت؟ هاي طلعت قرون في راسي!

الأم: قرن غزال ولا ثور؟

المرأة: دايًما رايقة وتحبي تمزحي.. قرن ثور

الأم: شو حجمه الثور؟

المرأة تغلق السماعة وتذهب لبيت صديقتها!

يرن الجرس/ الأم تقول لابنتها: شوفي من على الباب/ تركض الطفلة نحو الباب وتسحب كرسي وتنظر وتقول لأمها:

ما في حد على الباب.. في حد وراه!

الأم: خلاص خليها ترن على الجرس مثل ما بدها!

الطفلة: جرس المدرسة أو جرس البيت؟

الأم: جرس البيت؟

الطفلة: جرس بيتنا هذا ولا البيت الجديد؟

الأم: هذا البيت

وبعد ربع ساعة شافوا المرأة ماتت عند منزل صديقتها بسبب ارتفاع حاد في ضغط الدم والسكر وانفجار بالمرارة!

من عجائب المشابهة: التوائم

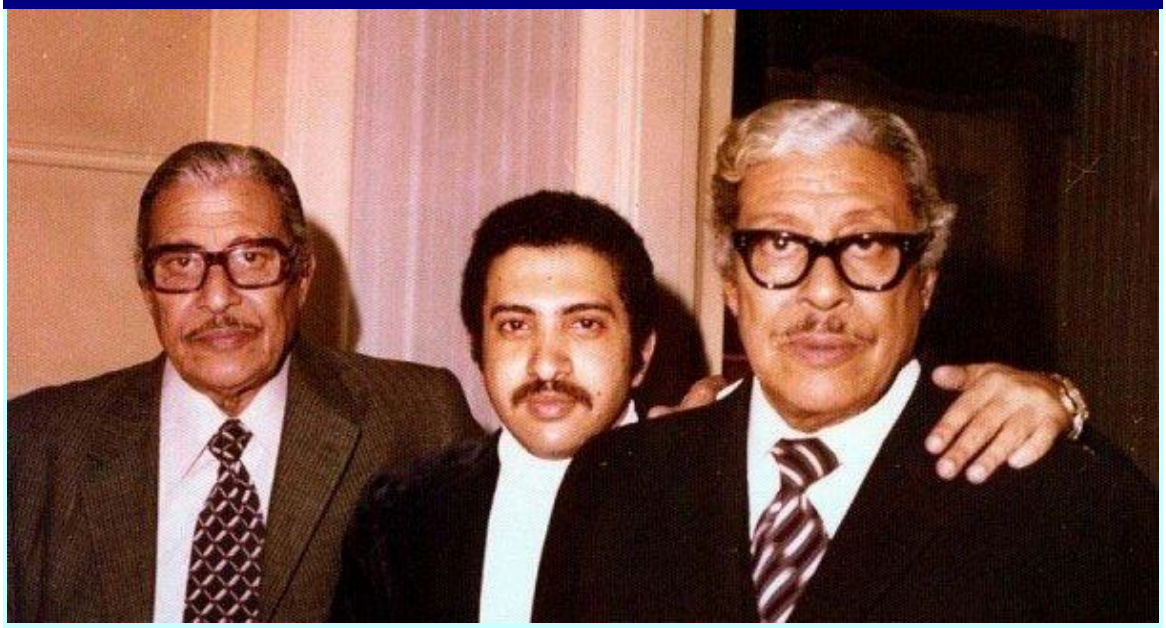

التوائم من عجائب خلق الله تعالى في تشابهها لحد قريب من التطابق، وفي طباعها والفعالاتها وعوائدها، حتى إن التفريق بينها أحياناً يكون من الأمور العسيرة.

وللتوائم في التاريخ العلمي والمكتوب والبصري تراث غني بتنويعات طريفة، خصوصًا في السينما التي قدمت أعمالًا عدة في هذا المجال: ففي عام **1988** - وفي إطار كوميدي طريف - قدم النجمان العالميان آرنولد شوارزنجر وداني ديفيتو فيلم التوأم **The Twin** الذي يحكي قصة توأمين انفصلا منذ مولدهما، لكنهما كانا مختلفين لحد التناقض، فأحدهما قصير أصلع محتال كذوب، والثاني ضخم مفتول العضلات، بريء، سليم الصدر، ليبرز الفيلم التضاد بينهما بشكل ساخر وطريف، وقد حقق إيرادات عالية على مستوى العالم بلغت **216** مليون دولار أمريكي آنذاك!

وفي الفيلم الكوميدي: التعدد **Multiplicity** الذي كان بطله: مايكل كيتون، استنسخ البطل من نفسه ثلاث نسخ متطابقة في الظاهر، بعد أن أنهكته المطالب والأعباء اليومية بين عمله المجهد، وزوجته كثيرة الطلبات، وأبنائه الذين يحتاجونه، بعد أن قابل أحد العلماء الذي عرض عليه أن يستنسخ منه نسخًا، فاستنسخ واحدة للعمل ونسخة للبيت، وثالثة للخارج، ولم تلاحظ زوجته الفرق بين الأربعة، رغم تصرفاتهم الجديدة عليها، وبعض أشكال التفاوت في السلوك!

ولعبت السينما المصرية على هذا الوتر حين أدى أحمد حلمي فيلم كدا رضا عن ثلاثة توائم ماتت عنهم أمهم، مع أب محتال أوصته ألا يطعمهم إلا مالًا حلالًا، فأخذ بوصيتها، خوفًا من الحسد، وتهريبًا لهم من الخدمة العسكرية الجبرية، وتوفيرًا أيضًا، استخرج ورقة رسمية باسم واحد للثلاثة (رضا)، وشبوا جميعًا وسط جيرانهم لا يلحظ الناس أنهم ثلاثة، وميزهم في البيت بأسماء اختارها لهم: بيبو والبرنس وسمسم طبقًا لاختلاف ميولهم وتركيبتهم النفسية، لتدور مفارقات عدة بسبب ذلك، ولينتقموا من (نصابين) أرادوا خداعهم، فنفتعهم جينات أبيهم (النصاب) في التنكيل بمن أرادوا (النصب)

عليهم.

وقد قرأت في موقع التوائم (Twins) أن هناك العديد من الصور الحياتية التي توضح جانب التماثل والتطابق للتوائم، وكذا ظاهرة توارد الخواطر، والشعور الواحد؛ لكن هذا لا ينطبق على جميع التوائم، فهناك توائم تسجل اختلافًا في الطباع والشخصية، وقد لا تلتقي إلا في الصفات الجسدية؛ خلافًا لما هو معروف من أمر التوائم المتماثلة!

كما أن هناك دراسة علمية في معهد علم النفس العام والمعهد التربوي في روسيا تؤكد أن المؤشرات الأساسية للنشاط البيوكهربائي لدماغ التوائم المتشابهة تكون متشابهة، بعكس الحال في التوائم الأخوية حيث تكون متباينة..

ومع أن العلماء يؤكدون أن تكوين الجهاز العصبي للتوائم المتماثلة يكون متشابهًا في مواصفاته فإن تأثير الظروف البيئية المحيطة بكل توأم تؤخذ في الاعتبار، وذلك ما أشارت إليه دراسة أجريت في مينسوتا لأسر التوائم،ومن خلالها تم توضيح كيفية تفاعل الجينات والبيئة من أجل التأثير على الشخصية ونقاط القوة والضعف والقيم، وكان مما ذكرته الدراسة أن مسألة اختيار رفيق الحياة بالنسبة للتوائم لا يرتبط على الإطلاق بالجينات؛ إنما هو التقدير الإلهي، أو ما يعرف بالقسمة والنصيب!

وحول سؤال عن توارث الطلاق، وهل هناك علاقة بين الطلاق والجينات؟ فإن تفسير نتائج الدراسة على التوائم المتشابهة وغير المتشابهة تقول إنه لا يوجد شيء اسمه جين الطلاق Divovce Gene لكن الطلاق يعتمد على عدة سمات نفسية جميعها تتأثر بالجينات التي تؤثر بشدة في الصفات الشخصية، وحيث إن للتوائم المتطابقة سمات متشابهة جدًّا فإن معدلات الطلاق المتشابهة التي تحصل عليها في النتائج إنما تعود لوجود سمات شخصية تتأثر وراثيًّا، وتسهم في إحداث الطلاق.

وللتوائم حساسية بأشباهها، فهذا توأم أيقظ زوجته في منتصف الليل وقال لها وهو في غاية الانزعاج: إن شقيقه في خطر، وعندما أصبحت اتصلت زوجته بعائلة زوجها هاتفيًّا فأخبروها أن شقيق زوجها التوأم أصيب في حادث، وأنه في المستشفى!

وتحدث مفارقات كثيرة بسبب شدة التشابه بين التوائم:

في مدينتنا أخوان توأمان، أكبر مني سنًّا بقليل، كان يصعب علي التفريق بينها، رغم أنني كنت ألتقي بأحدهما أكثر من الآخر.. يحكي رجل رآهما، أنهما قد أصاباه بالذهول ذات يوم؛ إذ كان يصطاد من ترعة في قريتهم، فرأى أحدهما بيده سنارته واقفًا بالقرب منه، ثم لم يلبث إلا قليلًا حتى وجده أمامه على الضفة المقابلة.

وانشغل بصيده وسنارته، ثم حانت منه التفاتة، فرآه مرة أخرى على الضفة التي يصطاد عليها نفسها، وأصابه عجب مذهل، فترك السنارة والصيد، وظل يرقبه ليعرف كيف يتنقل بهذه السرعة من جانب الترعة إلى الشط المقابل - دون أن يبتل - حتى تبين له الأمر، فظل يضحك من نفسه كثيرًا.

حتى هما كانا يلاحظان ذلك كثيرًا؛ فقد سار أحدهما ذات يوم في الشارع الرئيسي، فسمع رجلًا على المقهى يحدث جليسه: هذا الشاب كان يسير منذ دقائق يرتدي قميصًا أزرق، وعاد بقميص رصاصي.. هو عامل عرض أزياء؟

لم يلحظ بالتأكيد أن أخاه هو الذي سار قبله.

ومن عجائب التوائم المتشابهة أن إحدى المدارس لجأت إلى حلق شعر أحد التوائم على أن يطيل الآخر شعره دائمًا؛ حتى لا يدخل أحدهما مكان الآخر في الاختبارات!

وقد أوردت مجلة مساء (الأسرة) جملة من طرائف التوائم، كان منها:

في جلسة من الجلسات العائلية جلس زوجي وأخوه التوأم معنا، وقام أحدهما من المجلس، فرفعت الغطاء عن وجهي، وتنفست الصعداء، وصعقت لما عرفت أن زوجي هو الذي قام وليس أخاه!

جاءت الأم بتوأم وابنتها تنظر متعجبة لهذا الحدث الغريب وقالت بعفوية لأمها: إنتي جبت واحد وأبوي جاب الثاني!؟

في حارتنا توأم أحدهما مشاغب والآخر هادئ، رأى المدير المشاغب مع مجموعة وقد هربوا من المدرسة. وفي اليوم الثاني أمسك الدير الهادئ ليضربه! فلما أنكر هرب زاد عليه في العقوبة قائلًا: تهرب وتكذب!

أيمن ومأمون توأم درسا في الصف الثاني الإعدادي. وفي امتحان مادة التربية الاجتماعية كان معلم غير معلمهم يمتحن الطلاب، وبينما كان يتجول بين الطلاب وينظر إليهم بتمعن، عندها رأى طالباً مرة يمين الفصل ومرة شماله، فما كان من المعلم إلا أن صفع الطالب وقال: هذا امتحان وليس لعبًا.. تتنقل في الفصل كيف شئت!؟

وضحك الطلاب ونبهوه أنهما توأم.

كنت أحمل في نفسي على أحد طلاب الجامعة لأنه غريب، مرة يسلم علي بكل حفاوة وابتسامة، ومرة أخرى لا يسلم بل ويعجب من سلامي عليه. ولما شكوت إلى أحد الأصدقاء قال لي إنهما توأم يحتفي بك من يعرفك منهما، عندها فهمت سر الغرابة.

اتفق توأم على حلاق بنجلاديشي، دخل أحدهما فقال إن لي شعًرا ينبت سريعًا جدًّا، قد ينبت في هذه الليلة مرة ثانية!

ضحك الحلاق، فقال الشاب في مكر: إن نبت شعري اليوم تحلقني مجاناً!

قال الحلاق: نعم أحلقك مجاناً..

في المساء جاء الأخ التوأم بشعره الكثيف، والحلاق كاد يجن مما يرى، حتى أخبراه الخبر.

يذكر لي صديق أن قريبين له توأمين أحدهما في تعز والآخر في بريطانيا يمرضان معًا، فبمجرد ما يمرض هذا في تعز يبدأ الأهل بالاتصال على المغترب للاطمئنان عليه.

المشابهة والتشبه في الثقافة الغربية

وردت في الأدبيات الغربية تشقيقات وكنايات وأمثال كثيرة حول المشابهة والتشبه، أسوق تعريفها وبعض ملامحها من معجم التراث الأميركي / ط:4 سنة 2009 وغيره:

sim·i·lar·i·ty *n. pl.* **sim·i·lar·i·ties**
1. The quality or condition of being similar; resemblance. See Synonyms at likeness.
2. A corresponding aspect or feature; equivalence: *a similarity of writing styles.*
Similarity: a point، feature، or detail in which two items are alike.

ومن أمثالهم وتعابيرهم وكناياتهم في المشابهة:

As alike as buttons on a shirt - Anon **متشابهة كأزرار القميص (آنون)**

William - (We're almost) as alike as eggs **نحن متشابهون كالبيض (شكسبير)** Shakespeare

As alike … as grapes in a cluster - Edna Ferber **متشابهون كحبات عنقود العنب (إدنا فيربر)**

As alike as my finger is to my finger - William Shakespeare **متشابهون شبه إصبعي بإصبعي (وليم شكسبير)**

As alike as two drops of water - James **Miller** متشابهان كنقطتين من الماء **(جيمس ميلر).**

As alike as two peas in a pod - Jack London متشابهان كحبتي فاصوليا في **قرن (جاك لندن)**

As like a hand to another hand - Robert Browning متشابهان كاليدين **(روبرت براوننج)**

As like as like can be - William Wordsworth متشابهان أحسن ما يكون التشابه **(وليم وورزوورث)**

As like as rain to water - William Shakespeare شبه المطر بالماء **(وليم شكسبير)**

As undifferentiable … as ballots in a ballot box - Richard Ford لا يمكن **التفريق بينهما كأوراق التصويت في الصندوق (رتشارد فورد)**

Looked as alike … as hair pins- Loren D. Estleman تراها متشابهة كدبابيس **الشعر (لورين إيسلمان).**

Looked as much alike as blackbirds on a fence -John Yount متشابهة **كطيور سود على سور (جون يونط)**

Resembled each other like waves - Gustave Flaubert متشابهة كالموج **(جوستاف فلوبير)**

They're like as a row of pins - Rudyard Kipling متشابهون كصف من الدبابيس (رديارد كبلنج)

Similarity (See also **EQUIVALENCE**.)

chip off the old block A son who resembles his father in appearance or behavior. The expression is reputed to have been coined by Edmund Burke (1729-97) addressing the British House of Commons، speaking in reference to Pitt the Younger. However، a citation from the *OED* dates a similar phrase from the early 1.7th century.

Am not I a child of the same Adam … a chip of the same block، with him? (bp. Robert Sanderson، *Sermons*، 1627)

copycat An imitator; one who copies another's style or work. The term has been in use since the turn of the century.

A good architect was not a "copy-cat;" nor did he kick over the traces. (*Oxford Times*، April 24، 1931)

Copycat is occasionally used as a verb meaning 'to imitate.'

follow in the footsteps To emulate; to follow the example or guidance of another; to imitate the performance of a predecessor. The implication here is that in order to be like a respected and admired person، one must follow his example، that is، follow in the figurative footsteps he took along his pathway to success.

You are obliged to follow the footsteps of your predecessors in virtue. (*Complaint of Scotland*، 1549)

A variation is *walk in the footsteps*. A similar expression dealing figuratively with the feet of a revered person is *big* or *large shoes to fill*، implying that substantial effort will be required to meet the standards established by a predecessor.

get on the bandwagon To support a particular candidate or cause، usually when success seems assured and no great risk is entailed; often *climb aboard the bandwagon*. In the era of political

barnstorming‹ bandwagons carried the parade musicians. Theory has it that as candidate-carrying wagons moved through a district‹ local politicos would literally jump aboard those of favorite candidates‹ thus publicly endorsing them. The figurative use of *bandwagon* dates from the early 1900s:

a man of my kidney A person whose character and disposition are similar to one's own. In this expression‹ *kidney* carries its figurative meaning of nature‹ temperament‹ or constitution. The phrase appeared in Shakespeare's *Merry Wives of Windsor:*

Think of that‹ a man of my kidney; … that is as subject to heat as butter. (III‹ v)

This figurative use of *kidney* sometimes refers to kind or type of person.

It was a large and rather miscellaneous party‹ but all of the right kidney. (Benjamin Disraeli‹ *Endymion*‹ 1880)

play the ape To imitate‹ to copy someone's style‹ to counterfeit. This expression alludes to the way apes mimic the expressions and gestures of human beings. It appeared in print by the 1500s. Robert Louis Stevenson popularized the expression in his *Memories and Portraits* (1882):

spit and image The exact likeness‹ image‹ or counterpart; a duplicate‹ a double; a chip off the old block. This expression implies that two people are so much alike (usually in appearance) that figuratively‹ at least‹ one could conceivably have been spit from the mouth of the other‹ an interesting concept especially in light of recent breakthroughs in the fields of genetics and cloning. Since an earlier expression was *the very spit‹ image* serves to emphasize the similarity in appearance.

She's like the poor lady that's dead and gone‹ the spit an' image she is. (Egerton Castle‹ *The Light of Scartney*‹ 1895)

Variations are *spitting image* and *spitten image*.

take a page out of [someone's] book To follow another's example‹ to copy or imitate someone else; also *to take a leaf out of*

[someone's] book. The allusion is to literary plagiarism‹ but the expression is now employed in a positive sense only.

It is a great pity that some of our instructors in more important matters … will not take a leaf out of the same book. (Thomas Hughes‹ *Tom Brown at Oxford*‹ 1861)

tarred with the same brush All having the same shortcomings; each as guilty as the next. This expression derives from the practice of marking all sheep of the same flock with a common mark made by a brush dipped in tar. Some say the mark was for identification only; others claim it was to protect the sheep against ticks‹ or to treat sores. A variant of this expression is *painted with the same brush*. These expressions usually imply that what distinguishes a given group of individuals is their shared guilt or their similar negative characteristics.

---

similarity

ThesaurusLegend: Synonyms Related Words Antonyms
Noun
1.
similarity - the quality of being similar
sameness - the quality of being alike; "sameness of purpose kept them together"
approximation - the quality of coming near to identity (especially close in quantity)
homogeny - (biology) similarity because of common evolution
homology - the quality of being similar or corresponding in position or value or structure or function
homomorphism‹ homomorphy - similarity of form
isomorphism‹ isomorphy - (biology) similarity or identity of form or shape or structure
alikeness‹ likeness‹ similitude - similarity in appearance or character or nature between persons or things; "man created God in his own likeness"
parallelism‹ correspondence - similarity by virtue of corresponding

uniformness، uniformity - the quality of lacking diversity or variation (even to the point of boredom)
approach - a close approximation; "the nearest approach to genius"
sort - an approximate definition or example; "she wore a sort of magenta dress"; "she served a creamy sort of dessert thing"
analog، analogue، parallel - something having the property of being analogous to something else
dissimilarity، unsimilarity - the quality of being dissimilar

2.
similarity - a Gestalt principle of organization holding that (other things being equal) parts of a stimulus field that are similar to each other tend to be perceived as belonging together as a unit
law of similarity
Gestalt law of organization، Gestalt principle of organization - a principle of Gestalt psychology that identifies factors leading to particular forms of perceptual organization
Based on WordNet 3.0، Farlex clipart collection. © 2003-2012 Princeton University، Farlex Inc.
Ads by Google
Brain Training Games
Improve memory with scientifically designed brain exercises.
www.lumosity.com
similarity

noun resemblance، likeness، sameness، agreement، relation، correspondence، analogy، affinity، closeness، kinship، concordance، congruence، comparability، point of comparison،similitude، indistinguishability *the astonishing similarity between my brother and my eldest son*
difference، dissimilarity، disparity، variety، variation، diversity، disagreement، discrepancy، antithesis، heterogeneity، discordance، contradictoriness، irreconcilability، incomparability، unalikeness

Proverbs
"Birds of a feather flock together"

Collins Thesaurus of the English Language – Complete and Unabridged 2nd Edition. 2002 © HarperCollins Publishers 1995، 2002

صورة بصرية بيانية للتشبه ومآلاته:

تدرج زي المرأة على نحومتدهور بشكل حاد ومتطرف، وغالٍ في التشبه والانحدار، والصورة أبلغ في البيان أحيانًا من مئات الأسطر، فتأمل:

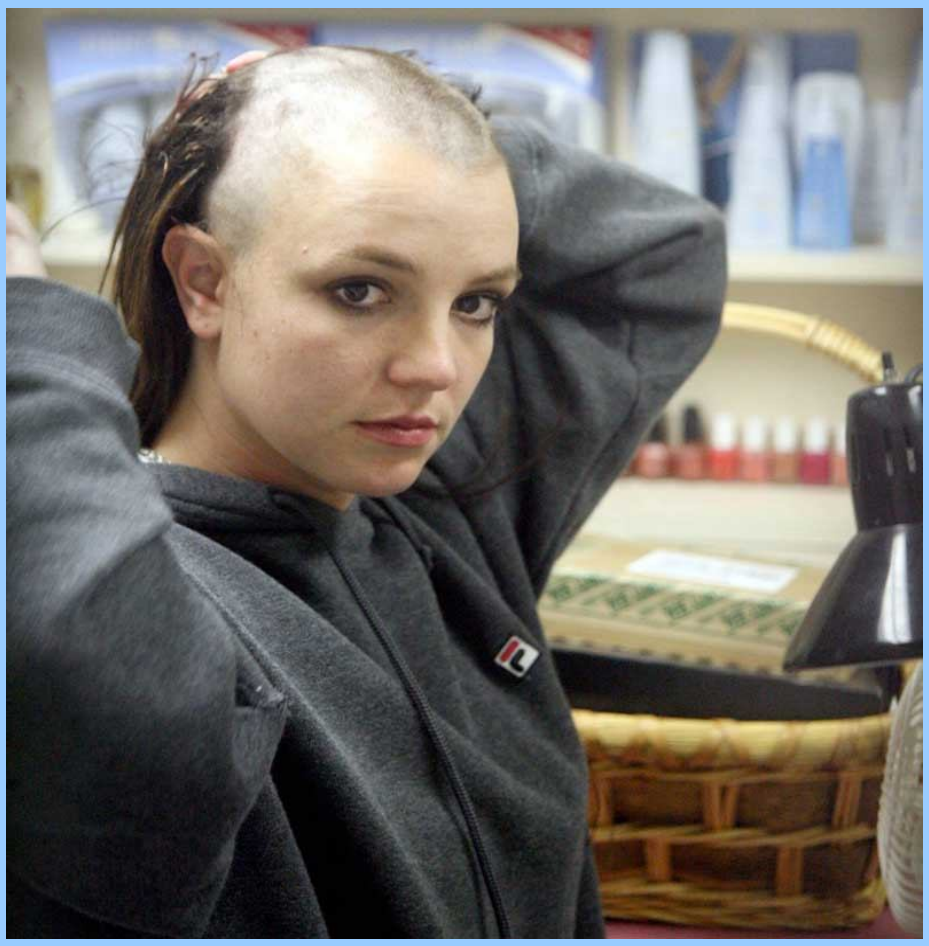

www.StrangeCosmos.com
#23001 - 1999 USA WOMEN'S PUMP ROOM

FEMINISM
Unleash your inner Male
motifake.com

MARRIAGE

gay
marriage

خلاصة البحث

- لاحظت فيما قرأت أن الفقهاء الأقدمين أبصر ألف مرة، وأرحم، وأكثر التماسًا للأعذار من الفقهاء المعاصرين، الذين يصكون فتاوى مرعبة، ليس فيها إلا التكفير، وتعظيم أمر المشابهة، دون التفريق بين قاصد، أو متأول، أو جاهل، أو معذور، ودون نظر لمشابهة كبيرة أو صغيرة، وموالاة وتقليد أعمى..
- حذرنا النبي صلى الله عليه وسلم – وهو الصادق المصدوق – من أننا سنقلد الأمم، ونتورط في التشبه المحذور..
- لا شك أنه لا أسوة في الشر، ولا اتباع لفاسد مفسد، ولا تشبه بمأفون أو ظالم أو شرير أو مضلل، لا الله تعالى يرضى، ولا رسله، ولا عباده الصالحون، ولا أهل العقل والانضباط الراشد، فالأسوة ينبغي أن تكون حسنة – كما عبر القرآن العظيم – أما القدوات المغموصة أو الفاسدة فلا محل لها بين من يريدون الإصلاح.
- أشكال الانهزام الحضاري، والتشبه بالآخر كثيرة، عديدة، نتورط فيها عامدين أو مستدرَجين
- التّشبّه في غير المذموم، وفيما لم يقصد به التّشبّه لا بأس به. قال صاحب الدّر المختار: إنّ التّشبّه بأهل الكتاب لا يكره في كلّ شيء، بل في المذموم، وفيما يقصد به التّشبّه.
- الاستفادة من شيء من أمور الدنيا، كبعض النظم الإدارية، والتعليمية، والفنية، والتقنية، والأدوات التي تسهل بها الحياة ليس من التشبه، بل إن من يثير مثل هذه القضية عادة ما يقصد تشويه المتدينين، والإساءة لهم، والتنقيص من عقولهم، باعتبارهم يحرمون كل شيء..
- يقول شيخ ابن تيمية رحمه الله تعالى: لما كان بين الإنسان وبين الإنسان مشاركة في الجنس الخاص كان التفاعل فيه أشد، ثم بينه وبين سائر الحيوان مشاركة في الجنس المتوسط، فلا بدّ من نوع تفاعل بقدره، ثم بينه وبين النبات مشاركة في الجنس البعيد

مثلًا، فلا بد من نوع ما من المفاعلة، ولأجل هذا الأصل وقع التأثر والتأثير في بني آدم، واكتساب بعضهم أخلاق بعض بالمعاشرة والمشاكلة...

- قصد التشبه وتعمده سبب رئيسي في الإثم فمن تشبه بجهل، أو بغير قصد، ولا يعلم أن سلوكه مرفوض شرعًا، أو تشبه بما لا يرضاه الله تعالى، أو ظن أنه أمر لا إثم فيه، فهو غير مؤاخذ؛ والله تعالى أعلى وأعلم. انعدام قصد التشبه:
- التميز كان في شرع من قبلنا؛ فقد قال سبحانه لموسى وهارون عليهما السلام: {فاستقيما، ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون} وقال سبحانه: {وقال موسى لأخيه هارون: اخلفني في قومي، وأصلح، ولا تتبع سبيل المفسدين} وقال تعالى: {ومن يشاقق الرسول، من بعد ما تبين له الهدى، ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى، ونصله جهنم} إلى غير ذلك من الآيات.
- اتسعت موارد التشبه والمحاكاة في السنة اتساعًا واضحًا لتعمق مفهوم التشبه: ما يرضاه الله وما لا يرضاه/ النافع والضار/ الإيجابي والسلبي..
- يقيد الفقهاء كفر من يتشبه بالكفار في اللباس الخاص بهم بقيود منها:
- أن يفعله في بلاد الإسلام: قال أحمد الرّملّي: كون التّزيّي بزيّ الكفّار ردّة محلّه إذا كان في دار الإسلام. أمّا في دار الحرب فلا يمكن القول بكونه ردّة، لاحتمال أنّه لم يجد غيره كما هو الغالب، أو أن يكره على ذلك.
- أن يكون التشبه لغير ضرورة: فمن فعل ذلك للضرورة لا يكفر.
- أن يكون التّشبّه فيما يختصّ بالكافر، كبرنيطة النّصرانيّ، وطرطور اليهوديّ.. ويشترط المالكيّة لتحقّق الرّدّة بجانب ذلك: أن يكون المتشبّه قد سعى بذلك للكنيسة ونحوها.
- أن يكون التّشبّه في الوقت الّذي يكون اللّباس المعيّن شعارًا للكفّار.. وقد أورد الإمام ابن حجر رحمه الله تعالى حديث أنس رضي الله عنه أنّه رأى قومًا عليهم الطّيالسة، فقال: كأنّهم يهود خيبر، ثمّ قال ابن حجر: وإنّما يصلح الاستدلال بقصّة اليهود في

الوقت الّذي تكون الطّيالسة من شعارهم، وقد ارتفع ذلك فيما بعد، فصار داخلاً في عموم المباح.

• أن يكون التّشبّه ميلا للكفر، فمن تشبّه على وجه اللّعب والسّخرية لم يرتدّ، بل يكون فاسقا يستحقّ العقوبة، وهذا عند المالكيّة.

هذا والله تعالى أعلى وأعلم، وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه..

أبو سهيل عبد السلام البسيوني

الدوحة الغراء: في السادس والعشرين من ربيع الآخر 1434

الموافق للثامن من مارس 2013

من أعمال المؤلف:

العقيدة:

1. الألوهية في العقائد الشعبية على ضوء الكتاب والسنة
2. كتاب المحجوبين عن رؤية رب العالمين
3. في ظل عرش الرحمن تبارك وتعالى
4. النعيم المعنوي في الآخرة

دعوة وإعلام:

5. مواجع داعية
6. كتاب الدعوة الجديد
7. قراءة في واقع السلفية المعاصرة
8. الإعلام الإسلامي في مواجهة الغزو الإعلامي الغربي
9. التلفزيون: السم اللذيذ
10. مواصفات في مدرِّسة الشرعية
11. خطيب الجمعة

فقه الواقع:

12. في فقه الواقع: رسائل إلى الإسلاميين
13. لله يا زمري
14. كلام في الثورة
15. إسلاميون ثوار
16. الحاج أستيكة

الأسرة:

17. ماذا يريدون من المرأة؟
18. تفكيك الأسرة: الخطر القادم

19. العنف الأسري: رؤية إسلامية
20. الأب: دراسة بانورامية
21. المسنون في منظور الإسلام
22. تجفيف منابع الأنوثة
23. الغيرة: خلق المسلم النبيل
24. العفة وأهل العفاف
25. نساء عديمات الأنوثة
26. وقال نسوة

فكر وثقافة:

27. العقلانية هداية أم غواية
28. وهل في الإسلام حرية للرأي
29. Freedom of Opinion
30. اليسار الإسلامي: خنجر في ظهر الإسلام
31. التعذيب: عار العصر (مجموعة ملفات)

دراسات إسلامية:

32. التبيان ... تحقيق
33. فقه الأذان والإقامة
34. ملفات ملغومة
35. وأدرك عبسلام الصباح
36. في المراية
37. المقامات

تاريخ:

38. الأندلسي
39. قال الراوي

40. المسجد الأقصى الشريف
41. زفتى التي في خاطري ج1 النشأة
42. زفتى التي في خاطري ج2 التبرعم
43. رمضان في تاريخ المستعين بالله البسيوني
44. شؤون مصرية

سير وتراجم:

45. محمد صلى الله عليه وسلم في أعمال اثنين من المستشرقين
46. دعاة ومشاهير عرفتهم
47. مشايخ لكن ظرفاء
48. رجال أثاروا جدلاً

كتابات ساخرة:

49. رجل اسمه نرجس
50. علي وعلى قرائي
51. حقك وفوقه بوسة
52. ناس نمرة واحد
53. نساء عديمات الأنوثة
54. طمع إبليس في الجنة
55. رجال آخر مسخرة
56. أنا ألبي دليلي

الشعر، والدراسات الأدبية:

57. ديوان: عذرًا يا سيد خلق الله
58. ديوان: صلاة قلب
59. ديوان مراميات
60. الذئبة التائبة (ديوان شعر)

61. يا سادتي (ديوان شعر)
62. زهرة (ديوان شعر)
63. القرضاوي شاعرًا
64. نونية القرضاوي (مستلة)
65. أبو مازن: الصوت الساحر
66. الشعراء
67. الشواعر

مسرحيات شعرية:

68. الأعظم (مسرحية شعرية)
69. القرضاوي شهيدًا (مسرحية شعرية)
70. الحراني (مسرحية شعرية)
71. الحرباء (مسرحية شعرية)
72. ليلى حلمي (مونودراما شعرية عامية)
73. أحمد يا سين (ملحمة شعرية عامية)
74. المسرحية الجديدة

كتب مصورة:

75. التماثيل الشعبية الأوربية: رؤية مختلفة للإنسان
76. الرسول صلى الله عليه وسلم في الرسوم والمنحوتات الأوربية عبر التاريخ
77. التعذيب: عار الحضارة المعاصرة
78. الله تعالى في ثقافات الشعوب (باور بوينت)
79. فن الخط العربي: (باور بوينت)
80. الخطوط العربية والفنون المنبثقة عنها: (باور بوينت)

كتب تعليمية:

81. أيها المهتدي أحبك في الله

82. الحج من الألف للياء

83. العقيدة

84. الأخلاق....

85. منهج الشرعية، للصف الأول الإعدادي: الدحيل الإعدادية

تحت الإعداد:

86. يا دوحة رايتك بيضا

87. أيام المدينة الطيبة

88. المعجم القرآني الأكبر

89. القلب: دراسة شرعية

90. محمد صلى الله عليه وسلم: رؤية قرآنية

91. العقائد المصورة

92. الحياء

93. حبيب قلبي

الفهرس

الموضوع	الصحيفة
المقدمة	4
بين التمايز والذوبان	6
التشبه في اللغة والاصطلاح	9
التشبه: المشكلة الشرعية القديمة الجديدة	14
وقفة نصوصية	17
من وجوه التمايز الدنيوي	27
الأسوة في الشر	34
التشبه في الإبداع الدنيوي	40
من أنواع التشبه	42
من أبواب ومجالات التشبه	47
تنويعات عن المشابهة والتقليد في السنة المشرفة	63
من آراء العلماء في التشبه	77
نظرات للإمام ابن تيمية في التشبه والمشابهة	88
من كلام فقهاء المذاهب الأقدمين في حكم التشبه	98
أمثال عربية في التشبه والمشابهة	102
من أمثال القرآن الكريم في التشبه	102
من الأقوال النبوية الشريفة في المشابهة	105
من لطائف المشابهة في الأدبيات العربية	110
من عجائب المشابهة: التوائم	123
المشابهة والتشبه في الثقافة الغربية	128
صورة بيانية بصرية لتشبه ومآلاته	134
خلاصة	146
من أعمال المؤلف	147